أثر العوامل الجغرافية في الفتوحات الاسلامية حتى نهاية العصر الراشدي

رسالة تقدم بها الطالب

وائـل كليـب مطلـك الـدوري

الــى

مجلس كلية التربية وهي جزء من
متطلبات الحصول على درجة
الماجستير في التاريخ الاسلامي

باشراف الدكتور

غامس خضير حسـن الدوري

1423هـ **2002م**

The Effect of Geographical Factor in Islamic Conquests Till the End of the Orthodox (Rashidi) Khalifs.



سورة البقرة من الآية ١٦٤

إهداء خــاص

الى باني مجد العراق العظيم السيد
الرئيس القائد
صـــدام حســين
(حفظه الله ورعاه)
راعي العلم والعلماء

اهدي هذا البحث

الإهـــداء

الـى من بعثه الله رحمة للعالمين ..

سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه الغر الميامين ومن اهتدى بهديه الـى يوم الدين

الـى والدي الكريمين ..

رب احفظهما ومُنَّ عليهما من فضلك بالصحة والعافية

الـى اخـوتي ..

غـالب وثائـر

الـى زوجتي واولادي..

محمد ، واحمد ، ورشا ، واروى ، وفاطمة

اهدي ثمرة جهدي هذه

الباحـث

شكر وتقدير

بعد هذه الرحلة التي لا تخلو من مشقة وعناء قضيتها محلقا في عالم المظان والمصادر التاريخية ، وانا انهي كتابة بحثي هذا لا يسعني الا ان اتقدم باسمى مشاعر الحب والتقدير الى استاذي الفاضل الدكتور غامس خضير حسن الدوري الذي حباني برعايته الابوية التي اكاد اعجز عن الوفاء له بها ، اذ كنت ارى فيه الاخ والمعلم لتوجيهه السديد لي على طريق العلم والحياة معا، ولولا متابعاته العلمية الموضوعية الدقيقة لما خرج البحث بهذه الصورة.

كما اتقدم بالشكر الى رئيس واساتذة قسم التاريخ وعلى وجه الخصوص الدكتور طلب صبار محل والدكتور محمود عباد الجبوري لقراءاتهم بعض فصول الرسالة حيث كان لتوجيهاتهم وتشجيعهم الاثر الكبير في انجاز هذا البحث.

كما اتقدم بالشكر والعرفان الى الدكتور ابراهيم الدوري لمساعدتي في اختيار موضوع البحث كما اتقدم بالشكر والعرفان الى المقوم اللغوي الاستاذ الفاضل الدكتور عبد الجليل تركي الدوري الذي قام بمراجعة الرسالة وتصحيح ما ورد فيها من اخطاء لغوية وتعبيرية.

كما اقدم شكري الى الاستاذ الدكتور خالد عبد الله محمد الذي قيم الرسالة فكريا وتصحيح ما ورد فيها من اخطاء.

واوجه شكري الى الدكتور مزاحم مهدي والسيد رياض عبد الله محمد والسيد محمد ياس الدوري لما قدموه من مساعدة علمية اغنت البحث.

كما لا يسعني الا ان اشكر كلا من منتسبي المكتبة المركزية / جامعة تكريت ومكتبة كلية التربية / جامعة تكريت ومكتبة قسم التاريخ / كلية التربية ومكتبة الدراسات العليا في كلية الاداب ومكتبة تطوير القتال ومكتبة محمد الدرى في قضاء الدور ومنهم الاستاذ صبيح العباسي والسيدة الفاضلة ام رياض.

واقدم شكري وعرفاني الى الاخ عبد الله جار الله مطلك وذلك لاستخدامي مكتبته الخاصة.

واخيرا لا انسى فضل الاخوة والاخوات الذين مدوا لي العون لاتمام هذه الرسالة ومنهم الاخ ياسين جار الله والانسة رشا وائل والسيد احمد والسيد وليد خالد.
وفق الله الجميع وجزاهم الله خيرا.

الباحث

اقـرار المشــرف

اشــهد بــان اعــداد هــذه الرســالة جــرى تحــت اشــرافي فــي قســم التــاريخ فــي كليــة التربيــة / جامعــة تكريــت وهــي جــزء مــن متطلبــات الحصــول علــى درجــة الماجســتير فــي التاريخ الاسلامي.

التوقيع

المشرف: د. غامس خضير الدوري

المرتبة العلمية: استاذ مساعد

التاريخ: / / 2002

اقـرار المقـوم اللغـوي

اشهد اني راجعت رسالة الطالب **وائل كليب مطلك** الموسومة " **اثر العوامل الجغرافية في الفتوح الاسلامية حتى نهاية العصر الراشدي**" من الناحية اللغوية وصححت ما ورد فيها من اخطاء لغوية وتعبيرية وبذلك اصبحت الرسالة مؤهلة للمناقشة قدر تعلق الامر بسلامة الاسلوب وصحة التعبير.

التوقيع

الاسم : عبد الجليل تركي نقي

المرتبة العلمية: استاذ مساعد

التاريخ: / / 2002

اقـرار الخبيـر الفكـري

اشهد اني راجعت رسالة الطالب **وائل كليب مطلك** الموسومة " **اثر العوامل الجغرافيـة فـي الفتـوح الاسـلامية حتـى نهايـة العصـر الراشـدي**" مـن الناحيـة الفكريـة فوجـدتها سـالمة مـن هذه الناحية.

التوقيع

الاسم : خالد عبد الله محمود

المرتبة العلمية: استاذ مساعد

التاريخ: / / 2002

رئيس القسـم

بنـاءا علـى توصـيات المقـوم اللغـوي والخبيـر الفكـري لرسـالة الطالـب **وائـل كليـب مطلـك** الموسومة " **اثر العوامل الجغرافية في الفتوح الاسلامية حتى نهايـة العصر الراشدي**" ارشح هذه الرسالة للمناقشة.

التوقيع

الاسم : طلب صبار محل

المرتبة العلمية: استاذ مساعد

المنصب: رئيس قسم التاريخ

التاريخ: / / 2002

قـرار لجنة المناقشـة

نحن اعضاء نشهد لجنة المناقشة نشهد بأننا قد اطلعنا على هذه الرسالة التي تقدم بها الطالب **وائل كليب مطلك** الموسومة "**اثر العوامل الجغرافية في الفتوح الاسلامية حتى نهاية العصر الراشدي**" وناقشنا الطالب بمحتوياتها وفيما له علاقة بها وهي جديرة بالقبول لنيل درجة الماجستير في التاريخ الاسلامي وبتقدير (جيد جداً).

التوقيع:
أ.د.م باسم صالح نجم
عضو لجنة المناقشة
التاريخ: / / 2002

التوقيع:
أ.د.م عاطف عباس حمودي
عضو لجنة المناقشة
التاريخ: / / 2002

التوقيع:
أ.د.م غامس خضير حسن
(مشرفاً)
التاريخ: / / 2002

التوقيع:
أ.د خالد جاسم الجنابي
رئيس لجنة المناقشة
التاريخ: / / 2002

قرار مجلس الكليـة

صادق مجلس كلية التربية / جامعة تكريت على قرار لجنة المناقشة

أ.د.م غامس خضير حسن
عميد كلية التربية / جامعة تكريت
/ / 2002

Abstract

This thesis deals with the effect of geographical factors on Islamic conquests till the end of the reign of the Orthodox Khalifis – The study falls into three chapters according to the fronts of the conquests :

Capter One deals with the effect of the geographical factors in the front of the Arabic Peninsula and it is sub-divided three parts:

The first part is devoted to the effect of the climatic factors like rain, floods, the direction of the winds and sunshine and draught. The second part concentrates on the underground waters as in Badr battle. The third part examines the effect of .... and it is subdivided into two: the effect of mountains and the effect of valleys.

Chapter Two is devoted to the effect of the geographical factors in the Iraqi and Eastern front and it is sub-divided into three parts:

The first part deals with the effect of the climatic factors such as rain, hail, wind-direction and the effect of weather in selecting the Islamic camps as what happened in selecting the place of Basra and Kufa camps. The second part concentrates on waters i.e. both underground and river waters. River waters were more prominent in the Iraq and Eastern front whereas they were a strong barrier in many conquests as in the battles of the coasts and of the battles of crossing the rivers. The third part includes the effect of in which the desert represents the link between the front of Sham because Muslims insisted on remaining on the

borders of the desert in order not to be separated by water from the center of the Islamic Khaliphates, mountains can also be seen in this front as a natural barrier in the faee of the Islamic conquests as it was evident when the Arabs reached the mountain-feet separating the Iraqi planes from the mount of Iraq.

Chapter Three is devoted to the front of Sham and it is sub-divided into three parts:

The first part deals with the climatic factors i.e. rain and cold; the most evident geographical factor affecting the conquest in this front because the Arabs were not accustomed to it before. In addition to wind-direction, sunshine and environmental factors and therefore soldiers were infected with many sicknesses such as the plague of Omwas because of the humidity of the air to which the Arabs of Hujus were not accustomed. The second part concentrates on the effect of water which is of two kinds, river water and sea water, because Arabs had not sailed the seas before and they stood still in front of it till they settled and became stronger under Islam and they built the largest fleet which helped later on in spreading Islam overseas. The third part included many elevations due to the variety of the land of the Sham front where there were deserts plains, valleys and some mounts. The most evident of these factors was the desert as it was evident when Khalid Bn Al-Waleed crossed the vast desert to surprise the Roman army. The last part of the thesis is the conclusion which sums up the findings of the study.

المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد ﷺ خير الأنام وعلى آله وصحبه الغرّ الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد

يعد القتال في سبيل الله تعالى من المواضيع الهامة التي تستحق الدراسة خاصة ونحن نبحث في عصر الرسالة وصدر الإسلام، فقد شرع الله عزّ وجلّ القتال في سبيله بعد هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة وأصبح المسلمون دولة، وكان أول تشريع للقتال دفاعاً عن النفس جاء في قوله تعالى ﴿**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ**﴾ (1).

ونزلت آيات أخرى تنقل المسلمين إلى مراحل أخرى في القتال بأهداف وغايات تتلائم مع ما يحقق أهداف الأمة الإسلامية وإعلاء كلمة الحق، كما جاء في قوله تعالى ﴿**وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ**﴾ (2).

إن دراسة السيرة النبوية والخلافة الراشدة وما يتعلق بالفتوحات الإسلامية من المواضيع التي استهوتني ونالت اهتمامي خلال دراستي الجامعية (بكالوريوس) وما بعدها في حقبة ممارستي التعليم الثانوي لما لهذا الدين من أثر على أمتنا العربية والانسانية جمعاء بما فيه من دروس وعِبر في كيفية انتشاره ودور القادة والمقاتلة في نشره وتحرير الأرض وإعلاء كلمة الله تعالى فكانت تلك المبررات إحدى الأسباب التي دعتني إلى أن أختار موضوع (أثر العوامل الجغرافية في الفتوح الإسلامية حتى نهاية العصر الراشدي).

ومن الأسباب الأخرى التي حفزتني لهذه الدراسة ان هناك عدداً من البحوث والدراسات والكتب التي اختصت بتأريخ العرب العسكري بدءاً بحياة الرسول محمد ﷺ وحتى نهاية الدولة العباسية على أيدي المغول

(1) سورة الحج: 39.

(2) سورة البقرة: 190.

سنة 656هـ/1258م، وقد تحدثت عن فتوحاتهم وأبطالهم دون ايلاء العوامل الجغرافية ذكراً مهماً في تلك الفتوحات.

وتجدر الاشارة أن لكل بحث جملة من الصعوبات التي تواجه الباحث أثناء إعداده، وتقف في مقدمة هذه الصعوبات التي واجهتها في بحثي هذا هو قلة الدراسات التي تناولت أثر العوامل الجغرافية التي تم دراستها باستثناء دراسة واحدة لمؤلفها أحمد محمد حسونة والموسومة (أثر العوامل الجغرافية في الفتوحات الإسلامية) ومما يؤخذ على هذا المؤلف أنه نظر إلى العامل الجغرافي نظرة عامة تناولت في الغالب التضاريس والظروف البيئية ولم يتتبع العوامل الجغرافية الاخرى التي أثرت تأثيراً مباشراً في المعركة.

ولأن جغرافية الفتح الاسلامي لم تكن على شكل واحد من حيث التضاريس والمناخ الذي يسودها والمياه المتواجدة فيها لذا كان لتلك الاثار الجغرافية لمحات مختلفة بين منطقة واخرى وهي مبثوثة في طي الكتب التي اختصت في المعارك التي خاضها المسلمون العرب منذ اول معركة قادها الرسول محمد ﷺ وحتى نهاية عصر الخلافة الراشدة وكان المسلمون في كل جبهة من جبهات الفتح يواجهون عوامل جغرافية متباينة .

وقد تضمن البحث ثلاثة فصول حسب جبهات الفتح اختص الأول بأثر العوامل الجغرافية في جبهة شبه الجزيرة العربية ويقع في ثلاثة مباحث تضمن المبحث الأول أثر العوامل المناخية والمتمثلة بالأمطار والسيول واتجاه الريح والشمس ثم الجفاف، ويتضمن المبحث الثاني الذي خصص لمياه الآبار كما هو الحال في معركة بدر، أما المبحث الثالث فقد تناول دراسة أثر التضاريس ويقع في نطاقين ، أثر الجبال وأثر الوديان.

وخصص الفصل الثاني لدراسة أثر العوامل الجغرافية في جبهة العراق والمشرق وتتضمن ثلاث مباحث:

شمل المبحث الاول أثر العوامل المناخية المتمثلة بالأمطار والبرد والدمق واتجاه الريح وأثر المناخ في اختيار المعسكرات الإسلامية كما يظهر ذلك في اختيار معسكر البصرة ومعسكر الكوفة، ثم جاء المبحث الثاني وقد تصدرت المياه وهي

على صنفين، مياه الآبار ومياه الانهار، وكانت مياه الأنهار في جبهة العراق والمشرق أكثر بروزاً، فقد وقفت حاجزاً منيعاً في الكثير من الفتوحات، كما هو الحال في معارك الضفاف ومعارك العبور.

أما المبحث الثالث فقد اشتمل على أثر التضاريس وكانت الصحراء فيها تمثل حلقة الوصل بين جبهة شبه الجزيرة العربية وجبهة بلاد الشام لأن المسلمين حرصوا على البقاء على أطراف الصحراء لئلا يفصلهم مانع مائي عن مركز الخلافة الإسلامية، وتظهر الجبال أيضاً بوضوح في هذه الجبهة كمانع طبيعي في ايقاف الفتح الإسلامي كما يظهر ذلك عند بلوغ العرب سفوح الجبال التي تفصل سهل العراق عن هضبة فارس .

أما الفصل الثالث فقد خصص لجبهة بلاد الشام، وتضمن ثلاثة مباحث:

المبحث الأول خصص للعوامل المناخية، وهي الامطار، والبرد وهو أوضح عامل جغرافي أثّر في الفتح في هذه الجبهة لأن العرب لم يألفوه من قبل، واتجاه الريح والشمس وكذلك العوامل البيئية فظهرت الأمراض كطاعون عمواس وكان ذلك بسبب وخومة الهواء التي لم يألفها العرب في بيئتهم الحجاز.

أما المبحث الثاني، فقد خصص لدراسة أثر المياه وهي على قسمين: مياه الأنهار، ومياه البحر، وهذا العامل (أي مياه البحر) أكثر بروزاً من غيره في هذه الجبهة لأن العرب لم يركبوا البحر عسكريا في عصر الرسول ﷺ من قبل فقد وقفوا واجمين أمامه حتى استقر أمرهم وعلا شأنهم في الإسلام فبنوا أكبر أسطول بحري في هذه الجبهة مما ساعد فيما بعد على انتشار الإسلام فيما وراء البحار.

أما المبحث الثالث فقد ضم الكثير من التضاريس لاختلاف أرض جبهة الشام، وفيها الصحاري والسهول والوديان وبعض التلال وأوضح هذه العوامل تأثيراً هي الصحراء كما يظهر ذلك بقطع خالد بن الوليد المفاوز الشاسعة لمباغتة جيش الروم.

وبعد فاني أرجو أن أكون قد وفقت لعرض جانب مهم من جوانب الفتح الإسلامي الذي تمثل بتلك الآثار الجغرافية، مسترشداً بالموضوعية والصدق في البحث محاولاً عرض صفحات قليلة من تاريخنا المشرق آملين من الله التوفيق في ذلك ، وحسبنا ان أخطأنا فذلك من النفس وندعو الله بقوله الكريم (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا) فهما آفة الأنسان اليوم ، وان أصبنا فذلك ما نرجوه وهو فضل محض من الله عز وجل انه على ما يشاء قدير وله الكمال وحده .

نظرة في المصادر:

اقتضت دراسة أثر العوامل الجغرافية في الفتوح الإسلامية حتى نهاية العصر الراشدي دراسة وقراءة عدد من المصادر للالمام بمفردات هذا البحث، فقد تم الاطلاع على كتب التأريخ والتراجم والمغازي والجغرافية والتفسير واللغة ولم يكتف البحث بالكتب القديمة بل الاطلاع على عدد من الكتب الحديثة التي لها علاقة بالموضوع، وسأحاول استعراض تلك الأنواع المختلفة مركزاً على أهمها.

كتب التفسير:

تورد كتب التفسير، تفسير آيات الذكر الحكيم وأسباب نزولها ومن هذه الكتب كتاب جامع البيان عن تأويل القرآن، للطبري (310هـ) وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (774هـ) ، وكانت الاستفادة منها في الآيات التي تناولت معركة بدر والخندق (الاحزاب).

كتب الحديث:

كانت الاستفادة منها في الاستشهاد بحدوث الامراض والاوبئة والوقاية منها، ومنها كتاب صحيح البخاري المتوفي 256 هـ وصحيح مسلم المتوفي 261 هـ.

كتب السير والمغازي، ومنها :

كتاب المغازي لعروة بن الزبير (94هـ):

يعد هذا الكتاب من أقدم كتب المغازي وقد أفاد منه الزهري والواقدي وغيرهم، أفدت منه في توضيح أثر مياه الآبار في معركة بدر، وأثر الجبل في معركة أحد.

المغازي للواقدي (207هـ):

ويعد من الكتب القيمة في دراسة التأريخ العسكري الذي راعى التسلسل الزمني للأحداث، أفادني في الفصل الاول من الرسالة مركزاً على أهمية الريح واتجاه الشمس، وأثر المياه في غزوات وسرايا الرسول ﷺ.

السيرة النبوية لابن هشام (218هـ):

يحتوي هذا الكتاب على مجمل السيرة النبوية لابن إسحاق وهي من أشهر السير وأكثرها تداولاً بين الناس وقد أخذتُ منه كثيراً في هذه الرسالة وخاصة في الفصل الأول مشيراً إلى أهمية العامل الجغرافي في غزوات وسرايا الرسول ﷺ مثل مياه الآبار والامطار في معركة بدر والجبل في معركة أحد والخندق واثر الوديان في معركة حنين.

كتب الطبقات والتراجم:

وكتب الطبقات والتراجم أهمية كبيرة، إذ أنها تحمل في طياتها على اشارات جغرافية ومنها:

كتاب الطبقات لابن سعد (230هـ):

كانت الاستفادة من هذا الكتاب كبيرة لما حواه من معلومات جغرافية شملت غزوات وسرايا رسول الله ﷺ مركزاً على الامطار ومياه الآبار في معركة بدر والجبل في معركة أحد والخندق والريح في معركة الخندق.

كتاب أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير (630هـ):

كانت الاستفادة منه ترجمة لحياة عدد من قادة الفتح اضافة إلى انه يحمل معلومات جغرافية قليلة.

كتب اللغة:

مثل لسان العرب لابن منظور المتوفي 711 هـ والقاموس المحيط للفيروز آبادي المتوفي 817 هـ... وكانت الفائدة منها في توضيح بعض التعابير الصعبة لغوياً.

الكتب التاريخيـة :

وتبحث هذه الكتب في الغالب الحوادث السياسية والعسكرية والادارية بما في ذلك اخبار الفتوح والتي تناولت في كتاباتها أثر العامل الجغرافي في المعركة سواء كان هذا العامل سلبيا أو ايجابيا على جيش المسلمين او أعدائهم ومن هذه الكتب:

كتاب تأريخ خليفة بن خياط (240هـ):

نظم الحوادث على أساس السنين ويبدأ من السنة الاولى للهجرة وينتهي سنة 230هـ، استفدت من المعلومات الموجودة في ثناياه عن أثر المناخ والموقع الجغرافي في اختيار معسكرات المسلمين التي بُنيت على أطراف الصحراء.

كتاب تأريخ الرسل والملوك لمحمد بن جرير الطبري (310هـ):

فلا غنى للباحث عنه وهو كتاب حولي يبدأ التدوين منذ بدء الخليقة وحتى سنة 290هـ. وقد أفدت منه فائدة كبيرة اذ يندر ان تخلو صفحة من صفحات الرسالة من اشارة إليه، وقد زودنا بمعلومات هامة عن أثر العامل الجغرافي في المعركة وما له أثر على جيش المسلمين أو أعدائهم.

الكامل في التأريخ لابن الأثير (630هـ):

وقد اعتمد في معظم أخباره على الطبري، وبذكر أثر العامل الجغرافي في معارك المسلمين سواء كان في عهد النبوة أو الخلافة الراشدة وقد استفدت منه في جميع فصول الرسالة.

الكتب الجغرافيـة :

افدت منها فائدة كبيرة في جميع فصول الرسالة وذلك بترجمة اغلب اماكن الفتح الاسلامي ومن هذه الكتب: كتاب معجم البلدان، ياقوت الحموي (ت626هـ)، وابو الفداء، تقويم البلدان (ت732هـ)، والحميري، الروض المعطار في خبر الاقطار (ت 900هـ).

المراجع الحديثة:

أما المراجع الحديثة فقد ساهمت مساهمة كبيرة في اغناء البحث بالآراء أو بالاشارة إلى المصادر التي اعتمد عليها المؤلفون المحدثون ومن أهم هذه الكتب، كتاب اثر العوامل الجغرافية في الفتوح الاسلامية لمؤلفه احمد محمد حسونة وكتاب سيف الله المسلول خالد بن الوليد لمؤلفه الجنرال أأ أكرم الذي اعتمد في تدوين مادته التاريخية وفق ما شاهده من المواقع الجغرافية لمعارك خالد بن الوليد ﷺ في جبهة شبه الجزيرة العربية وجبهة العراق وجبهة بلاد الشام، وغيرهم من المؤلفين المحدثين الذين استطلعوا مواقع الأحداث التاريخية ومنهم: العميد الركن سيف الدين سعيد آل يحيى في كتابه الحركات العسكرية في كفتي الميزان، ومحمود الدرة في كتابه تأريخ العرب العسكري، والمرحوم اللواء الركن محمود شيت خطاب، في كتاب خالد بن الوليد، الذين كان لهم الفضل الكبير في التحليل التاريخي والجغرافي والعسكري لعوامل النصر الإسلامي ولبعضهم الفضل الكبير في الردّ على مزاعم بعض المستشرقين الذين حاولوا النَّيل من حركة الفتوحات الإسلامية وقد دوّنت آرائهم وردودهم في ثنايا رسالتي.

قائمـة المحتويـات

الفصــل الاول

أثر العوامل الجغرافية في جبهة الجزيـرة العربيـة

المبحـث الاول

أثــر العوامـل المناخيـة

1 ـ الامطـار والسيـول:

كـان لمياه الامطـار والسيول اثر علـى سير بعض المعـارك التـي وقعت فـي شبه الجزيرة العربيـة، اذ كـان تأثيرها واضـحا علـى نتائج عدد من المعـارك، ففـي غزوة بـدر سنة 2هـ/ 624م، ساعدت الامطار على تحقيق النصر على المشركين، وذكرت اغلب المصـادر التاريخيـة [1] ان هطول الامطـار الغزيرة ليلـة المعركـة، قد اثرت علـى جبهـة العدو اذ حدت من حركتـه، بسبب وحولـة الارض، فـي حين سـاعد المطـر فـي جبهـة المسلمين على ازالـة الغبار وتلبيد الارض، فقد جاء في روايـة الواقدي ما يوضـح ذلك

(1) الواقـدي، ابـو عبـد الله محمـد بـن عمـر، المغـازي، تحقيـق مارسـدس جـونس مـط (جامعـة اكسـفورد سنة 1966) ج1 ص54 ؛ ابن هشـام، ابـو محمـد عبـد الملك، السيرة النبويـة تحقيق مصطفى السقا وآخرون ،دار الفكر، (بيروت ، 1960)، ج2 ص620 ؛ ابن سعد، محمد بن سعد، الطبقات الكبرى دار صـادر (بيروت بلا ت) ج2 ص15؛ الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك تحقيق، محمد ابو الفضل إبراهيم ، ط4 دار المعارف (القاهرة، 1969) ج2 ص425؛ السهيلي، ابو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن احمد بن ابي الحسن، الروض الانف في تفسير السيرة النبويـة لابن هشـام، تحقيـق عبـد الـرحمن الوكيـل، دار الكتـب الحديثـة (القـاهرة 1385 – 1966)، ج5 ص97 – 98، ابن الاثير، عز الدين ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بـن محمـد بـن عبـد الكـريم بـن عبـد الواحـد الشـيباني، الكامـل فـي التـاريخ، دار صـادر، (بيـروت، 1385، 1965) ج2 ص122.

بقوله :"وبعث الله السماء وكان الوادي دهسا[1] فاصابنا ما لبد الارض ولم يمنعنا من المسير واصاب قريشا ما لم يقدروا ان يرتحلوا منه"[2].

ولكي نصل الى حقيقة ذلك، علينا ان نصف ارض المعركة التي نزل عليها كلا الجيشين، ومدى تأثير مياه الامطار عليها، وهي كما يصفها الواقدي بقوله "نزل رسول ﷺ بالعدوة [3] الشامية ونزلوا بالعدوة اليمانية"[4] ويؤكد ابن هشام ذلك بقوله "ومضت قريش حتى نزلوا بالعدوة القصوى من الوادي خلف العقنقل[5]، وبطن الوادي هو يليل بين بدر وبين العقنقل الكثيب[6] الذي خلفه قريش"[7].

وفي هذا قال تعالى **﴿إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾** [8] وقد فسرت الآية السابقة ساعة نزول الرسول ﷺ جهة الوادي باتجاه المدينة ونزلت قريش جهة الوادي الاخرى التي هي باتجاه مكة المكرمة[9].

فكان المطر نعمة وقوة للمسلمين وبلاء على المشركين، ففي جبهة المسلمين ساعد المطر على اطفاء الغبار وتلبيد الارض حتى ثبتت عليها الاقدام والحوافر حتى لاتسوغ

---

(1) الدهس : المكان السهل ليس برمل ولا بتراب، : الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب القاموس المحيط، دار الجيل (لبنان بلا ت) ج2 ص225.

(2) المغازي ج1 ص54.

(3) العدوة : عدوتا النهر والوادي جنبتاه، : الواقدي، المغازي، ج1 ص56. ابن منظور ، جمال الدين ابو الفضل محمد، لسان العرب ، دار صادر ، (بيروت ، بلا ت) ج15 ص 40.

(4) المغازي، ج1 ص56.

(5) العقنقل: الوادي المتسع، : الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج4 ص20.

(6) الكثيب: تل من الرمل:الفيروز آبادي،القاموس المحيط،126؛ابن منظور، لسان العرب، ج1 ص703.

(7) السيرة النبوبة، ج1 ص619 – 620 ؛ : الطبري، تاريخ ج2 ص439.

(8) سورة الانفال : من الآية 42.

(9) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ط3 (مط مصطفى البابي واولاده) ج10 ص9–10، ابن كثير اسماعيل بن عمر بن كثير ابو الفداء، تفسير القرآن العظيم ، دار الفكر، (بيروت، 1401) ج2 ، 314.

في الرمال[1]. وفي هذا قال الله تعالى:﴿**إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاء مَاء لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ**﴾[2]، وقد فسر الطبري الاية قد انعم الله على المؤمنين بالنعاس بغشى عيونهم ليدخل في نفوسهم الامن بعد الخوف، وقد نزل المسلمون بعيداً عن الماء ، فأنزل الله عليهم المطر ليطهرهم، حيث التقوا مع عدوهم على رملة هشاء فلبدها المطر حتى ثبتت عليها اقدام المسلمين[3].

ويبدو مما تقدم ان المشركين قد نزلوا بضفة الوادي الجنوبية خلف تلة من الرمل (الكثيب) وامامهم بطن الوادي، بينما نزل المسلمون على مقربة من ضفة الوادي الشمالية ومع ان طبيعة ارض الوادي لينة الا انها غير موحلة عند هطول الامطار، في حين تختلف طبيعة الارض المحيطة بالوادي من الشمال بعض الاختلاف في سفوح الوادي الجنوبية، فبينما تتلبد الارض فيسهل السير عليها في القسم الشمالي نجد الامر عكس ذلك في جنوب الوادي حيث تصبح الارض موحلة فيتعذر المسير عليها[4] وبذلك اثرت الامطار تأثيراً مباشراً على جيش المشركين.

---

(1) الحلبي : علي برهان الدين ، السيرة الحلبية المعروفة بانسان العيون في سيرة الامين والمامون، مط الاستقامة ، القاهرة ، 1382هـ – 1962م ، ج2 ص64.

(2) سورة الانفال : اية 11.

(3) الطبري: تفسير ، ج9 ص193–194 و ابن كثير : تفسير القران العظيم ج2 ص191–192.

(4) محمود الدرة: تاريخ العرب العسكري، دار الكاتب العربي (بيروت 1964) ص84 .

وفي سنة 8/هـ 629م ارسل النبي محمد ﷺ غالب بن عبد الله الليثي[1] في سرية الى بني الملوح بوادي الكديد[2] وامره بالغارة عليهم[3]. فسارت السرية وعند المساء وصلت وادي الكديد اذ كمن المسلمون في ناحية الوادي فامهلوا العدو حتى اقبلت ماشيتهم فحلبوها واطمأنوا عليها، فشن افراد السرية الغارة عليهم عند الفجر ويصف جندب بن مكيث الجهني[4] الذي كان احد افراد السرية تفاصيل الاحداث التي وقعت فيها وما للطبيعة من اثر في نصرة المسلمين بقوله "فشننا عليهم الغارة فقتلنا منهم واستقنا منهم النعم ورجعنا سراعا واتى صريخ القوم فجاءنا مالا قبل لنا به حتى اذا لم يكن بيننا الا بطن الوادي من كديد بعث الله السماء من حيث شاء سحابا ما رأينا قبل ذلك مطرا مثله فجاء الوادي بما لا يقدر احد أن يجوزه، فلقد رأيتهم ينظرون الينا ما يقدر احد ان يتقدم وقدمنا المدينة"[5]

---

(1) غالب بن عبد الله الليثي: غالب بن عبد الله بن مسعر بن كلب بن ليث الليثي له صحبة ارسله النبي ﷺ في سرية من ستين راكباً إلى بني الملوح، ابن عبد البر القرطبي: الاستيعاب في معرفة الاصحاب: مكتبة المثنى بغداد 1328هـ ج3، ص183؛ ابن الاثير: اسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق محمد ابراهيم البنا وآخرون (بلا ت ومكان) ج4، ص336؛ ابن حجر: شهاب الدين ابي الفضل احمد بن علي : الاصابة في تمييز الصحابة، مكتبة المثنى ، بغداد ، 1328هـ ، ج3، 183-184.

(2) وادي الكديد: الكديد ما غلظ من الارض، هو موضع بالحجاز يبعد عن مكة 42 ميلا ، ياقوت الحموي ، شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت ، معجم البلدان، دار احياء التراث العربي (بيروت 1996). ج7 ص 123.

(3) الطبري تاريخ، ج3 ص27.

(4) جندب بن مكيث بن عمرو بن جراد بن يربوع بن طحيل بن عديل الجهني ، له صحبة ، كان احد افراد السرية التي بعث بها الرسول ﷺ الى بني الملوح ، ابن الاثير: اسد الغابة في معرفة الصحابة، ج1، ص62؛ الذهبي : الحافظ شمس الدين عبد بن محمد بن احمد، تجريد اسماء الصحابة، تصحيح صالح عبد الحكم شرف الدين ، (الهند 1389هـ – 1969م) ج1، ص91: ؛ ابن حجر: الاصابة، ج1، ص250-251.

(5) ابن الاثير، الكامل، ج2 ص229 – 230

وفي رواية اخرى لابن هشام ان الله تعالى لم يبعث مطرا ولا سحابا وانما "ارسل الله تبارك وتعالى الوادي بالسيل من حيث شاء الله تبارك وتعالى من غير سحابة نراها ولا مطر، فجاء بشيء ليس لاحد به قوة ولا بقدر على ان يجاوزه، فوقفوا ينظرون الينا وانا لنسوق نعمهم، ما يستطيع منهم رجل ان يجيز الينا، ونحن نحدوها سراعا حتى فتناهم، فلم يقدروا على طلبنا"(1).

ومن خلال الجمع بين الروايتين من المؤكد ان القول ان الله تعالى بعث سحابا ثقالا احدث سيلا امتلأ منه الوادي سواء كان في المنطقة او خارجها فحال بين المسلمين وعدوهم ولولا ذلك، لكانت الدائرة على المسلمين لعدم تكافؤ القوى بين الفريقين، فذلك نصر الهي بتأثير الطبيعية وليس للسيف والرمح اثر فيه.

وقد ذكرت المصادر (2) سقوط الامطار في غزوات وسرايا لم تشير المصادر مقدار تأثيرها على سير المعارك، وبما ان المعارك قد وقعت في منطقة صحراوية فلا بد من انها قد تركت أثراً سلبياً او ايجابياً على نتائج المعارك للطرفين المتقاتلين.

ففي غزوة الحديبية سنة 6هـ/627م نزل رسول الله ﷺ في وادي قليل الماء، مما ادى بالمسلمين إلى ان يشكوا العطش إلى رسول الله ﷺ اذ ارسل الله تعالى السماء حتى كثرت المياه(3)، وفي غزوة غطفان 8هـ/629م مطر المسلمون وقد ذكر الواقدي ذلك (ان رسول الله ﷺ نزل بذي امر ناحية الخيل وعسكر بها يريد غطفان فاصاب المسلمين مطراً كثيراً..)(4)

2 ـ اتجاه الريح والشمس:

حرص المقاتلة العرب على ان يكون اتجاه الشمس وهبوب الريح من وراء ظهورهم وكان الرسول ﷺ سباقا في استخدامها وطبق العرب هذه المبادئ في حروبهم ضد

---

(1) السيرة النبوية، ج4 ص611؛ ابن سعد، الطبقات ج2 ص125.

(2) الواقدي: المغازي، ج1، ص195؛ وابن سعد: الطبقات ، ج2 ص35.

(3) ابن سعد ، الطبقات ، ج2 ص96.

(4) الواقدي: المغازي/ ج1، 195، السيوطي، جلا الدين عبد الرحمن، كفاءة الطالب اللبيب في خصائص الحبيب، دار الكتب العلمية (بيروت ، 1985) ج2 399.

اعدائهم من بعده، ومن امثلة ذلك ما جرى في معركة بدر سنة 2هـ/624م فقد استقبل المصطفى ﷺ المغرب وجعل الشمس خلفه، واقبل المشركين فاستقبلوا الشمس[1]والريح[2]، حيث كانت الرياح السائدة الصبا[3].

وفي غزوة احد سنة 3 هـ /625م[4] "كانت الريح والدُولة للمسلمين في بادي الامر"[5] لالتزامهم بخطة الحبيب محمد ﷺ اذ نزل الرسول محمد ﷺ فاسند ظهره إلى جبل احد واستدبر الشمس[6]، اما قريش فقد استقبلوا الشمس، وكانت الريح اول المعركة صبا، مستقبلة وجوه المشركين لانها تهب من مطلع الشمس[7]، وقد ساعدت الريح على وصول سهام المسلمين الى اهدافها بدقة علاوة على ذلك تساعد على اعماء المقابل بالاتربة.

---

(1) الواقدي، المغازي ،ج1 ص56؛ جون جوت غلوب، الفتوحات الإسلامية الكبرى، تعريب وتعليق خيري حماد، مكتبة المثنى (بغداد بلا ت).

(2) الريح : تختص بالعذاب ، كما جاء في قوله تعالى:﴿**كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللّهُ وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**﴾ سورة آل عمران من الآية 117. الرياح: تختص بالرحمة ومثال ذلك ما جاء في قوله تعالى:﴿**وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ...**﴾ سورة الحجر آية22،﴿**وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاء مَاء طَهُورًا**﴾سورة الفرقان آية48، المعجم المفهرس لالفاظ الاقرآن الكريم ، تحقيق فؤاد عبد الباقي ، دار ومطابع الشعب (بلا ت ومكان) ، ص326 .

(3) الصبا : وهي القبول ما هب من مطلع الشمس، المسعودي، ابي الحسن علي بن الحسين بن علي، التنبيه والاشراف، مرجعة وتصحيح عبد الله إسماعيل الصاوي مكتبة (المثنى 1938) ص16.

(4) الحنبلي، ابو الفلاح بن عبد الحي بن عماد ، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، دار الكتب العلمية، (بيروت، بلا ت) ج1 ص10.

(5) الحلبي ، السيرة الحلبية، ج1 ص42.

(6) الواقدي ، المغازي ، ج2 ص220.

(7) المسعودي، التنبيه والاشراف، ص16.

وقد اكد الهرثمي اهمية الريح واتجاه الشمس في ارض المعركة وقال "توخ ان تكون الريح والشمس من وراء ظهرك، فان لم يمكنك فاحرص على اخذ الريح بكل حيلة..."[1].

ولما اخل الرماة بوصية الرسول ﷺ وتركوا اماكنهم على الجبل (عينين) كرَّ المشركون عليهم من الخلف وانتقضت صفوفهم واستدارت رحاهم فبعد ان كانت الريح صبا صارت دبوراً[2] [3] .

وفي حصار المدينة سنة 5هـ /627م كان للريح اثر في حسم المعركة لصالح المسلمين وقد ذكر اثر تلك الريح في قوله تعالى﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا**﴾ [4] وقد فسر الطبري قوله تعالى "جنود الاحزاب قريش وغطفان ويهود بني النضير، وارسل الله عز وجل ريح الصبا عليهم في ليال باردة شديدة البرودة حتى كفأت قدورهم على افواهها ونزعت فساطيطهم﴿**وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا**﴾ الملائكة[5] فكانت هذه الريح الربانية سببا لعدم ثبات جنود الاحزاب عند الخندق.

ويروي ابن هشام عن حذيفة بن اليمان[6] الذي ارسله النبي محمد ﷺ يتجسس على القوم وما جرى لهم من اثر الريح على جيش المشركين فيقول

---

(1) ابو سعيد الشعراني، مختصر سياسة الحروب، تحقيق عبد الرؤوف عون (القاهرة، بلا ت)، ص31-32.

(2) الدبور :وهي التي تهب من دبر من استقبل المشرق ولذلك سميت دبور،المسعودي، التنبيه والاشراف ص16.؛ ابن اياس ، محمد بن احمد ، بدائع الزهور في وقائع الدهور دار العلوم الحديثة (بيروت بلا ت) ص 12 .

(3) ابن سعد الطبقات، ج2 ص42.

(4) سورة الاحزاب : آية 9 .

(5) الطبري ، تفسير ج11 ص126-128.

(6) حذيفة بن اليمان: هو حذيفة بن حسل ويقال له حسيل بن جابر بن عمرو بن ربيعة، واليمان لقب حسل بن جابر، صحابي جليل وصاحبة سر الرسول ﷺ في المنافقين لم يعلمه احد الا حذيفة اعلمه

"فذهبت فدخلت في القوم والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل، لا تقر لهم قدرا ولا نارا ولا بناء"(1).

لقد قضى ابو سفيان وقتا طويلا امام الخندق، دون ان يستطيع اقتحامه واجتيازه، وكان الوقت شتاء شديد البرودة قاسيا ذا عواصف رملية ورياح هوجاء كفأت قدورهم وطرحت ابنيتهم وقلعت خيامهم فاضطر ابو سفيان إلى ان يخطب بقومه عندما يئس من تحقيق النصر على المسلمين قائلاً: "انكم والله ما اصبحتم بدار مقام، لقد هلك الكراع والخف... ولقينا من شدة الريح ما ترون، ما تطمئن لنا قدر ولا تقوم لنا نار ولا يستمسك لنا بناء فارتحلوا فاني مرتحل"(2). فقد اثرت الريح تأثيرا مباشرا في عدم صمود جيش الاحزاب امام هذه الرياح الباردة والقوية التي ادت بالتالي الى انسحابهم مدحورين بسبب اهمالهم العوامل الطبيعية في معاركهم ففي هذه المعركة دام حصار المدينة (اربعا وعشرين ليلة)(3) الى ان قدم الشتاء، فهبت الريح فزعزت قوات المشركين

بهم رسول اللهﷺ، وكان عمر ﷺ إذا مات ميت يسأل عن حذيفة فاذا حضر الصلاة عليه صلى عليه عمر ﷺ ، شهد حذيفة نهاوند فلما قتل النعمان بن مقرن امير الجيش اخذ الراية وكان فتح همذان والري والدينور على يده، شهد مع النبيﷺ غزوة احد والخندق وقد ارسله رسول الله ﷺ ليلة الاحزاب إلى معسكر المشركين يأتيه بالاخبار ، توفي قبل الخليفة عثمان بن عفان ﷺ سنة 36هـ ، ابن الاثير: اسد الغابة في معرفة الصحابة، ج1، ص468-469 ؛ الذهبي، تجريد اسماء الصحابة ، ج1، ص125؛ خالد محمد خالد ، رجال حول الرسول ، ط2 دار الفكر بيروت (بلا ت) ص192-193

(1) السيرة النبوية، ج3 ص232؛ ابن سعد ، الطبقات، ج2 ص69؛ الطبري، تاريخ، ج2 ص580؛ الكلاعي، ابن الربيع سليمان بن موسى، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسولﷺ والثلاثة الخلفاء، تحقيق محمد كمال الدين،عالم الكتب(بيروت 1997)ج3ص217.

(2) ابن هشام، السيرة النبوية، ج3 ص232؛ ابن سعد، الطبقات، ج2 ص69؛ الطبري ج3 ص580؛ بن عبد البر القرطبي، الدرر في اختصار المغازي والسير، تحقيق شوقي ضيف دار المعارف (القاهرة، 1403)، ج1 ص177؛ السهيلي، الروض الانف ج6 ص281؛ محمد فرج، العبقرية العسكرية في غزوات الرسولﷺ ، (دار الفكر 1958)، ص186 .

(3) ابن سعد ، الطبقات ، ج2 ص73.

وارغمتهم على الرحيل، فكان انسحابهم بسبب الريح نصرا للمسلمين حيث قال ﷺ "نصرت بالصبا واهكلت عاد بالدبور"[1].

وفي سنة 6هـ / 629م غزا رسول الله ﷺ بني المصطلق[2] عندما علم بتجمعهم لقتاله، فقاتلهم حتى ظفر بهم، وقد اصيب هشام بن صبابة عندما خرج في طلب العدو في ريح شديدة حين لقيه رجل من رهط عباده بن الصامت فظن انه من العدو فقتله[3].

وكان ذلك بسبب الريح الشديدة ولربما كان مدى الرؤيا غير بعيد مما ادى الى عدم التعرف عليه فقتله.

3 - الجفـاف:

وردت هذه اللفظة بمعاني عديدة[4] تبين مدلولاتها كافة على انها لها اثار سلبية على الانسان لما تخلفه من ازمات اقتصادية وشحة في الغلات وزيادة في الاسعار ومن معانيها انها تعني الجدب، قال تعالى ﴿**وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَونَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّن الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ**﴾ [5].

ودعا الرسول محمد ﷺ على قريش عندما ازداد اذاهم المسلمين فقال "اللهم اعني عليهم بسني كسني يوسف"[6] والسنة هنا تعني الجدب "... تنقطع فيها الامطار

(1) مسلم، ابو الحسين بن مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق وتصحيح وترقيم، محمد فؤاد عبد الباقي دار الفكر، بلا ت، ج2 ص617.

(2) الواقدي، المغازي، ج2 ص604؛ الطبري ، تاريخ ، ج2 ص604.

(3) الواقدي، المغازي، ج1 ص 407 – 408؛ ابن هشام، السيرة النبوية ج3 ص290؛ الطبري، تاريخ، ج2 ص604.

(4) الجائحة، السنة، المجدبة العجفاء، ابن سيده، ابو الحسن علي بن اسماعيل، المخصص، دار الافاق، (بيروت بلا ت) ج3 ص167.

(5) سورة الاعراف : الآية 130.

(6) ابن الاثير: مجد الدين المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والاثر، تحقيق: محمود محمد الطناخي وآخرون، ط2، دار الفكر، 1399هـ 1979م (بلا مكان).

وتؤدي الى هزل الحيوان وموته وثبات الغلاء وقلة الاطعمة وتصرم المياه في الاودية والآبار"(1)، ومعظم الاماكن التي تتعرض للجفاف هي المناطق البعيد من مجاري الانهار اذ تعتمد في زارعة محاصيلها على مياه الامطار وقد اورد ياقوت على لسان الجاحظ ان اهل البصرة لا يخافون الجدب بسبب موقع مدينتهم على النهر وعلى ساحل البحر (2).

ومن دراسة اثر العوامل الجغرافية على الفتوحات الإسلامية ظهر لنا عدد من حالات الجفاف في الجزيرة العربية اثرت على سير المعارك العسكرية.

ففي سنة 4هـ / 626م خرج ابو سفيان لطلب الرسول محمد ﷺ ببدر القتال(3) وعندما انتهى إلى مجنة(4) وهي مر الظهران(5) رجع إلى مكة المكرمة وقال لاصحابه "انه لايصلحكم الا عام خصيب ترعون فيه الشجر وتشربون فيه اللبن وان عامكم هذا عام جدب واني راجع فارجعوا"(6).

وفي سنة 13هـ - 634م عندما تجمعت الجيوش الاسلامية في المدينة المنورة لتحرير بلاد الشام تقدم سادات القبائل الى الخليفة ابي بكر الصديق ﷺ وقالوا له "انك امرتنا بامر فاسرعنا لله ولك رغبة في الجهاد، وقد تكامل جيشنا وفرغنا من اهبتنا والمقام قد اضربنا لان بلدك ليس بلد جيش ولا حافر..."(7)، ومما يبدو مما تقدم ان

---

(1) الهمذاني، حسن بن احمد بن يعقوب، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد علي حسين الاكوع دار الشؤون الثقافية العامة (بغداد، 1989) ص 33.

(2) الحموي ، معجم البلدان ج2 ص347.

(3) ابن سعد: الطبقات، ج2 ، ص59؛ الطبري : تاريخ، ج3، ص559.

(4) مجنة : مر الظهران قرب جبل يقال له الاصفر وهو باسفل مكة، ياقوت الحموي: معجم البلدان ، ج7، ص209.

(5) مر الظهران: واد قرب مكة ، ياقوت الحموي: معجم البلدان ، ج6، ص282.

(6) ابن حبان: محمد ابن حبان بن احمد البستي، الثقات ، تحقيق شرف الدين احمد ، دار الفكر ، (بيروت ، بلا مكان 1395هـ- 1975م) ج1 ص244.

(7) الواقدي، فتوح الشام قدم له عمر ابو النصر ، المكتبة الأهلية (بيروت 1969) ، ج1 ص9.

المناطق التي تصاب بالجدب يهجرها سكانها الى المناطق القريبة من الانهار، وربما يتوقف فيها القتال لان ذلك يتطلب توفير مواد غذائية وامدادات للجيش، حيث لا تستطيع المناطق المجدبة توفير ذلك.

وفي سنة 18هـ-639م اصاب الناس في المدينة المنورة والحجاز [1]مجاعة شديدة[2]، وذلك بسبب انحباس الامطار[3] وكانت الريح تسفي ترابا كالرماد فسمي عام الرماده[4].

ومن اثار القحط الذي اصاب الانسان والحيوان في المدينة المنورة وما حولها من شدة الجوع " حتى جعلت الوحوش تأوي الى الانس وحتى الرجل يذبح الشاة فيعافها من قبحها وانه لمقفر "[5].

وقد تميزت اجراءات الدولة للحد من اثار المجاعة بعاملين اساسيين:

الاول : الاستغاثة بامراء الاجناد في الشام ومصر والعراق.

---

(1) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق اكرم ضياء العمر، مط الآداب (النجف 1386هـ 1967م)، ج1 ص109؛ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن بكر، تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مط المدني، بلا مكان 1383هـ -1964، ص130 - 131.

(2) ابي الفداء، عماد الدين اسماعيل، المختصر في أخبار البشر مط الحسينية (بلا ت ومكان)، ج1 ص163؛ ابن الكازروني، ظهير الدين علي بن محمد البغدادي مختصر التاريخ من اول الزمان إلى منتهى دولة بني العباس، تحقيق مصطفى جواد وضع فهارسه سالم الالوسي، (مط بغداد 1390 هـ - 1970م) ص96 .

(3) ابن كثير: الحافظ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ط5 تحقيق احمد ابو ملحم واخرون ، دار الكتب العلمية ، (بيروت 1409هـ 1988م) ج7 ص92.

(4) الطبري، تاريخ، ج4 ص98؛ ابن الاثير، الكامل، ج2 ص555؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان ج4 ص419؛ محب الدين ابو العباس احمد بن عبد الله، ذخائر العقبى في مناقب ذي القربى، تحقيق، شعيب الارناؤوط، دار الكتب المصرية (القاهرة 1407، 1986)، ج1 ص200 ؛ ابن الجوزي جمال الدين بن علي بن محمد ، المدهش ، تصحيح وتعليق الدكتور مروان قباني دار الكتب العلمية (بيروت بلا ت) ص70 .

(5) الطبري، تاريخ ج4 ص98؛ ابن الجوزي ، المدهش ص70 ؛ ابن الاثير ، الكامل ج2 ص555.

والثاني : صلاة الاستقساء وكان الهدف من ذلك هو التخفيف من اثر المجاعة التي اصابت الناس في الحجاز [1].

فقد استغاث الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ بامراء الاجناد وولات الانصار وقال "اغيثوا اهل المدينة وما حولها"[2] فكان اول من قدم عليه القائد ابو عبيدة عامر بن الجراح ﷺ باربعة الاف راحلة من طعام فولاه الخليفة عمر ﷺ قسمتها في من حول المدينة المنورة[3].

وكتب الخليفة عمر ﷺ الى والي مصر عمرو بن العاص ﷺ يشكوا اليه قحط الحجاز وما بالمسلمين فيه من شدة، فاجابه والي مصر وقال "لامدنك بعير طعام اوله عندي وآخره عندك"[4]، فاصبح سعر الطعام في المدينة المنورة كسعره في مصر[5]. ويذكر ابن كثير ان حالة القحط استمرت مدة تسعة اشهر [6].

اما الاجراء الثاني الذي قامت بهه الدولة فهو "صلاة الاستقساء" للحد من آثار الجفاف.

ومعلوم انها من الاجراءات الاسلامية المألوفة في هذه الأزمات إذ هي سنّة عن النبي محمد ﷺ فقد استسقى عدة مرات[7] .

---

(1) ابن الوردي، زين الدين بن عمر بن مظفر، تاريخ ابن الوردي، ط2 مط الحيدرية (النجف 1969) ج1 ص198.

(2) الطبري، تاريخ، ج4 ص99؛ ابن الاثير، الكامل، ج2 ص556.

(3) ابن الوردي، تأريخ ، ج1، ص198، ابو الفداء، المختصر في اخبار البشر ، ج1 ص163.

(4) القلقشندي، احمد بن عبد الله، مآثر الانافة في معالم الخلافة، تحقيق، عبد الستار احمد فراج، عالم الكتب (بيروت بلا ت) ج1 ص 91 – 92.

(5) القلقشندي، مآثر الانافة في معالم الخلافة، ج1 ص91-92.

(6) ابن كثير، البداية والنهاية، ج7 ص92.

(7) البخاري ، أبي عبد الله بن اسماعيل بن ابراهيم ، صحيح البخاري ، دار الفكر (بيروت بغداد 1986) ص288.

وقد صلى المسلمون صلاة الاستقساء في عام الرماده 18 هـ 639 اذ خرج عمر بن الخطاب ﷺ بالمسلمين لاداء صلاة الاستقساء ومعه العباس بن عبد المطلب فصلى، وقال: "اللهم عجزت عنا انصارنا وعجز عنا حولنا وقوتنا، وعجزت عنا انفسنا ولا حول ولا قوة الا بك، اللهم فاسقنا، وأحيي العباد والبلاد"[1].

وفي رواية اخرى انه ﷺ اخذ بيد العباس بن عبد المطلب عم النبي محمدﷺ وقال "اللهم اننا نتقرب اليك بعم نبيك ﷺ ، وبقية آبائه، واكبر رجاله، فانك تقول – وقولك الحق: **﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ﴾** [2]، فحفظتهما بصلاح آبائهما ، فاحفظ اللهم نبيك ﷺ في عمه"[3].

(1) الطبري، تاريخ، ج4 ص99–100؛ ابن الاثير، الكامل، ج2 ص557؛ النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ، نهاية الارب في فنون الأدب، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، مط الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة 1975)، ج19 ص352.

(2) سورة الكهف، الآية 82.

(3) ابن الاثير، الكامل ج2 ص557، النويري، نهاية الارب، ج19 ص352.

وذكر ابن كثير: ان عمر بن الخطاب ﷺ خرج يستسقي وخرج العباس معه فقال "اللهم انا كنا اذا قحطنا على عهد نبيك توسلنا اليك بنبينا، وانا نتوسل اليك بعم نبينا"(1) فما بلغوا المنزل راجعين حتى فاضت الغدران وفي هذا قال الفضل بن العباس بن عتبة بن ابي لهب.

بعمي سقى الله الحجاز واهله	عشية يستسقى بشيبته عمر
توجه بالعباس في الجدب راغبا	اليه، فما ان رام حتى اتى المطر
ومنا رسول الله فينا تراثه	فهل فوق هذا للمفاخر مفتخر (2)

(1) ابن كثير، البداية والنهاية، ج7 ص94، شمس الدين السخاوي، التحفة اللطيفة في اخبار المدينة الشريفة، (بيروت 1993) ج2 ص14.
(2) النويري، نهاية الارب، ج19 ص353

المبحـث الثـانـي

أثـــر الميـــاه

كان لمياه الآبار اثر في سير المعارك العسكرية التي وقعت في شبه الجزيرة العربية تلك البقعة التي تنعدم فيها مياه الانهار، اذ تكون الحاجة الى المياه بشكل كبير وذلك بسبب سقي الجند والخيل والابل، فضلاً عن ذلك ان السيطرة على مصادر المياه تعزز نتيجة المعركة لصالح الطرف المسيطر عليها وهذا ما حصل في غزوة بدر سنة 2هـ / 624م عندما تحرك الرسولﷺ من المدينة إلى ارض المعركة [1]، متخذاً منزلا بعيدا عن الماء في بادئ الامر الا ان الرسول محمد ﷺ لم يكن مطمئنا الى صلاح المكان لنزول جيش المسلمين ولذا استشار الرسول محمدﷺ الصحابة في الموضع الذي اختاره، فاشار عليه الحباب بن المنذر بن الجموح[2]، بعدم البقاء في الموضع الذي نزل فيه لبعده عن الماء إذ روي في ذلك قول رسول الله محمدﷺ "اشيروا علي في المنزل، فقال له الحباب بن المنذر بن الجموح يا رسول الله أرايت هذا المنزل، امنزل انزلك الله ليس لنا ان نتقدمه ولا نتأخر عنه ام هو الرأي والحرب والمكيدة، قال بل هو الراي والحرب والمكيدة قال : فان هذا ليس بمنزل ! انطلق بنا إلى ادنى ماء من القوم، فاني عليم بها وبقلبها[3] بها قليب قد عرفت عذوبة مائه،

(1) ابن هشام، السيرة النبوية ، ج1 ص613 – 614؛ ابن سعد، الطبقات ، ج2 ص 15 ؛ الطبري، تاريخ، ص433 – 435؛ الاصفهاني ، أبو فرج علي بن الحسن ، الأغاني ، تحقيق سمير جابر (دار الفكر 1986 بلا مكان) ، ج4 ص187.

(2) الحباب بن المنذر بن الجموح: الحباب بن المنذر بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة الخزرجي السلمي ابو عمر وقيل ابو عمر وشهد بدر وكان يقال ذو الرأي، وهو القائل وليس المقاتل يوم السقيفة انا جديلها المحنك وعذيقها المرجب توفي في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الاصحاب ، ج3 ص183، ابن الاثير، اسد الغابة في معرفة الصحابة، ج1 ص436.

(3) القُلب : جمع قُليب – وهو البئر، الفيروز آبادي، القاموس المحيط ، ج1 ص123؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ج1 ص146.

وماؤه كثير ل اينزح ثم نبني عليها حوضاً ونقذف فيه الآنية فنشرب ونقاتل ونغور [1] ما سواها من القُلب"[2].

واخذ الرسول محمد ﷺ برأي الحباب بن المنذر، فضلاً عن ذلك ان هناك رواية لابن سعد تذكر ان جبريل عليه السلام بلغ الرسول ﷺ ان يأخذ برأي الحباب ففعل رسول اللهﷺ ذلك "الراي ما اشار به الحباب"[3]

ويصف الطبري، اجراءات الرسول ﷺ الفعلية بحسب ما جاء به جبريل عليه السلام وما أشار به الحباب بن المنذر "فسار حتى اتى ادنى ماء من القوم فنزل عليه ثم امر بالقلب فعُورت، وبنى حوضاً على القليب الذي نزل عليه فملئ ماء، ثم قذفوا فيه الآنية[4]". وقد حدد ابن كثير زمن نزول المسلمين على البئر الذي يلي المشركين "بنصف الليل وانهم نزلوا فيه واستقوا منه وملئوا الحياض حتى اصبحت ملئ وليس للمشركين ماء"[5]. وقد حدد الطبري موقع البئر الذي نزل عليه الرسول محمد ﷺ حيث قال "والقلب ببدر في العدوة الدنيا من بطن يليل[6] الى المدينة"[7] وهو المكان الذي نزل فيه الرسولﷺ فكان لتغوير الآبار اثر في ارباك قوات المشركين لما اصابهم من العطش بسبب سيطرة المسلمين على آبار المياه مما

(1) نغور : ذهاب الماء في الارض، الفيروز آبادي، القاموس المحيط ، ج2 ص108.

(2) الواقدي ، المغازي ، ج1 ص53 – 54؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج2 ص625؛ ابن سعد ، الطبقات، ج2 ص15 ؛ الطبري ، تأريخ، ج2 ص440؛ ابن عبد الله البر، الدرر في اختصار المغازي والسير ص113، ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ج2 ص122 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج3 ص266– 267؛ محمد ابو الفضل ابراهيم وآخرون، ايام العرب في الاسلام، ط2، (بيروت 1961) ، ص16– 17؛ محمود شيت خطاب، الشورى العسكرية، مط المجمع العلمي العراقي 1990 ص25 – 26.

(3) ابن سعد، الطبقات، ج2، ص15.

(4) التأريخ ، ج2 ص440.

(5) البداية والنهاية، ج3 ص267.

(6) يليل: واد بين بدر وبين العقنقل، الكثيب: الذي خلفه قريش، والقليب في بدر في العدوة الدنيا من بطن يليل الى المدينة، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج8 ص504 – 505.

(7) تاريخ، ج2 ص439.

ادى الى اضطراب احوال المشركين وارباك صفوفهم كما وصفه الطبري قائلا. "وقد خرج الاسود بن عبد الاسد المخزومي وكان رجلا شرسا سيئ الخلق، فقال : اعاهد الله لاشربن من حوضهم ولاهدمنه او لأموتن دونه فلما خرج، خرج له حمزة بن عبد المطلب فلما التقيا ضربه حمزة، فاطنّ [1] قدمه بنصف ساقه، وهو دون الحوض فوقع على ظهره تشخب رجله دماً نحو اصحابه، ثم حبا الى الحوض ... واتبعه حمزة فضربه حتى قتله في الحوض"[2].

ويقول ابن هشام إذ يقول "اقبل نفر من قريش حتى وردوا حوض النبي محمد ﷺ فيهم حكيم بن حزام[3]، فقال رسول الله ﷺ: دعوهم فما شرب منه رجل الا قتل"[4].

ومن هذا نفهم ان اجراءات الرسول ﷺ منعت المشركين من الوصول الى آبار بدر والشرب منها والسيطرة عليها مما يثبت صحة استخدام الرسول ﷺ موارد الطبيعة في تحقيق النصر على الاعداء.

---

(1) أطنّ : قطعها ، الفيروز آبادي. القاموس المحيط ج4 ص247.

(2) الطبري، تاريخ، ج2 ص445؛ ابن الاثير، الكامل، ج2 ص124؛ ابن حبان، الثقاة، ج1 ص166.

(3) حكيم بن حزام بن خويلد بن اسد بن عبد العزى القريشي الاسدي، اسلم يوم الفتح ، وكان من المؤلفة قلوبهم، ثم حسن اسلامه وكان مولده قبل عام الفيل بثلاث عشرة سنة على اختلاف ذلك، عاش 120 سنة، توفي سنة 54هـ في ايام معاوية، وقبل سنة 58هـ، ابن الاثير: اسد الغابة، ج2، ص45.

(4) ابن هشام، السيرة النبوية ج2 ص622.

المبحث الثـالـث

أثـــر التضــاريــس

الجبال: للتضاريس الارضية اثر على المعارك العسكرية، وخاصة المرتفعات ويظهر ذلك في بعض المعارك التي خاضها الرسول ﷺ ضد المشركين.

فقد اكد الهرثمي على اهمية الاستفادة من العوارض الطبيعية في المعركة فقال: "لا تنزلن من عدوك منزلا ابدا حتى تعرفه.... وتحر ان تسند ظهور اصحابك الى الجبال والتلول...."[1].

وقد استفاد المسلمون من طبيعة الارض في معاركهم ضد اعدائهم ويظهر ذلك واضحاً في غزوة بدر 2هـ /624م فقد قام المسلمون ببناء عريش للرسول محمدﷺ على مرتفع من الارض ليكون مشرفا على المعركة[2] ، وذلك من اجل السيطرة عليها من قبل الرسول ﷺ القائد الاعلى، ولابداء التوجيهات لان موقع القيادة المشرف ضروري لانه يعطي اشرافا جانبيا وبالعمق.

وفي غزوة احد سنة 3هـ /625م "ومضى رسول الله ﷺ حتى نزل بالشعب من احد في عدوة الوادي إلى الجبل فجعل ظهره وعسكره إلى احد"[3]، إذ استفاد الرسول ﷺ من الطبيعة الجغرافية لمنطقة المعركة، وذلك باسناد ظهره وحمايته إلى المانع الطبيعي وهو الجبل وبنظرة فاحصة من لدن النبي محمد ﷺ احس بوجود خطر يدهم المسلمين يمكن ان يتلافاه قبل حدوث المعركة، ويكمن هذا الخطر في ذلك التل الصغير احد تلال احد المسمى جبل عينين، وذلك لانه مقطوع عن احد يسهل على العدو الالتفاف

---

(1) مختصر سياسة الحروب، ص31.

(2) ابن هشام، السيرة النبوية، ج2 ص620 – 621.

(3) ابن اسحاق، محمد بن اسحاق، السير والمغازي، تحقيق د. سهيل زكار، دار الفكر (بيروت 1398هـ –1978م) ص325. ابن القيم الجوزية محمد بن ابي بكر ايوب ، زاد المعاد في هدى خير العباد ، تحقيق شعيب الارناؤوط وعبد القادر الارناؤوط، ط14، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الاسلامية (بيروت، الكويت، 1407هـ – 1986م) ج2 ص194.

من خلفه، ولمواجهة هذا الخطر وضع النبيﷺ خطة محكمة بحيث لا تدع ثغرة في صفوف المسلمين، ولهذا كلف الرسول ﷺ خمسين من رماة السهام وامر عليهم عبد الله بن جبير[1] رضي الله عنه، فقال لهم "انضح عنا الخيل بالنبل لا يأتونا من خلفنا إن كانت لنا او علينا، اثبت مكانك لا نؤتين من قبلك"[2].

كما أمر الرسول محمد ﷺ الرماة بأن يرشقوا خيل المشركين بالسهام فقال "وانما عليكم ان ترشقوا خليهم بالنبل وان الخيل لا تقدم على النبل"[3] ، لقد كانت اوامر النبيﷺ محددة وبشكل دقيق ومحتسبا لما يفكر به العدو، اذ أحس بخطر خيل المشركين التي قد تأتي من جبل عينين، فحذر الرماة من مغبة ترك اماكنهم على الجبل مهما كانت الاسباب وذلك لاهمية موقع الرماة الذي يشرف على المعركة، وفضلا عن ذلك فانه يحمي الجناح الايسر لقوات المسلمين من أي حركة التفاف العدو وراء خطوط المسلمين[4].

وفي رواية اخرى قال الرسول ﷺ "لا تبرحوا مكانكم ان رأيتم اننا قد هزمناهم فانا لا نزال غالبين ما ثبتم مكانكم"[5] .

ويتضح مما تقدم ان للجبل اهمية كبيرة في حسم المعركة لأحد الفريقين ويظهر ذلك من خلال وصايا الرسول ﷺ للرماة الذين امرهم بعدم ترك مواقعهم من الجبل.

بدأت المعركة بالمبارزة جريا على العادة العربية، بعد ذلك التقى الجيشان، والمسلمون يصيحون صيحة الحق، حتى سالت الدماء على الصخور فانهزم المشركون

---

(1) عبد الله بن جبير: صحابي جليل شهد العقبة وبدر استشهد يوم احد ،ابن الاثير: اسد الغابة، ج3، ص194، الذهبي : تجريد اسماء الصحابة، ج1، ص201-202؛.

(2) ابن اسحاق، كتاب المغازي والسير، ص326؛ الواقدي، المغازي، ج2 ص224؛ ابن هشام السيرة النبوية، ج3 ص65 – 66؛ ابن سعد ، الطبقات، ج2 ص40.

(3) الحلبي ، السيرة الحلبية، ج2 ص29 -30

(4) سيف الدين سعيد ال يحيى، الحركات العسكرية في كفتي ميزان ، الدار العربية للموسوعات ط1 1973، ج1 ص220 – 221.

(5) الطبري، تاريخ ، ج2 ص509.

في الصفحة الاولى من القتال، ويصف ابن سعد هزيمة قريش بقوله "فلما قتل اصحاب اللواء انكشف المشركون منهزمين لا يلوون على شيء، ونساؤهم يدعون بالويل، وتبعهم المسلمون يضعون السلاح فيهم حيث شاؤوا حتى اجهضوهم عن العسكر"(1).

وهنا حدثت الزلة الكبرى التي كانت سببا في ضياع النصر من ايدي المسلمين عندما ترك الرماة مواقعهم من الجبل فلم يبق الا دون العشرة مكانهم وامريهم عبد الله بن جبير (2) حيث انكشف جناح المسلمين، وكان خالد بن الوليد قائد فرسان المشركين يراقب الجبل الذي عليه الرماة مثمنا ومعظما حسن اختيار الرسول ﷺ لجبل الرماة، بتوزيع عدد من المقاتلة على الربوة وعندما شاهد نزول الرماة من اعلى الربوة سارع بخيله وفاجأ المسلمين من الخلف، ينظر الخريطة (1).

ويصف ابن الاثير عملية الالتفاف بقوله "فلما فارق الرماة مكانهم رأى خالد بن الوليد قلة من بقي من الرماة فحمل عليهم فقتلهم، وحمل على اصحاب النبي ﷺ من خلفهم فلما رأى المشركون خيلهم تقاتل تبادروا فشدوا على المسلمين فهزموهم وقتلوهم"(3).

---

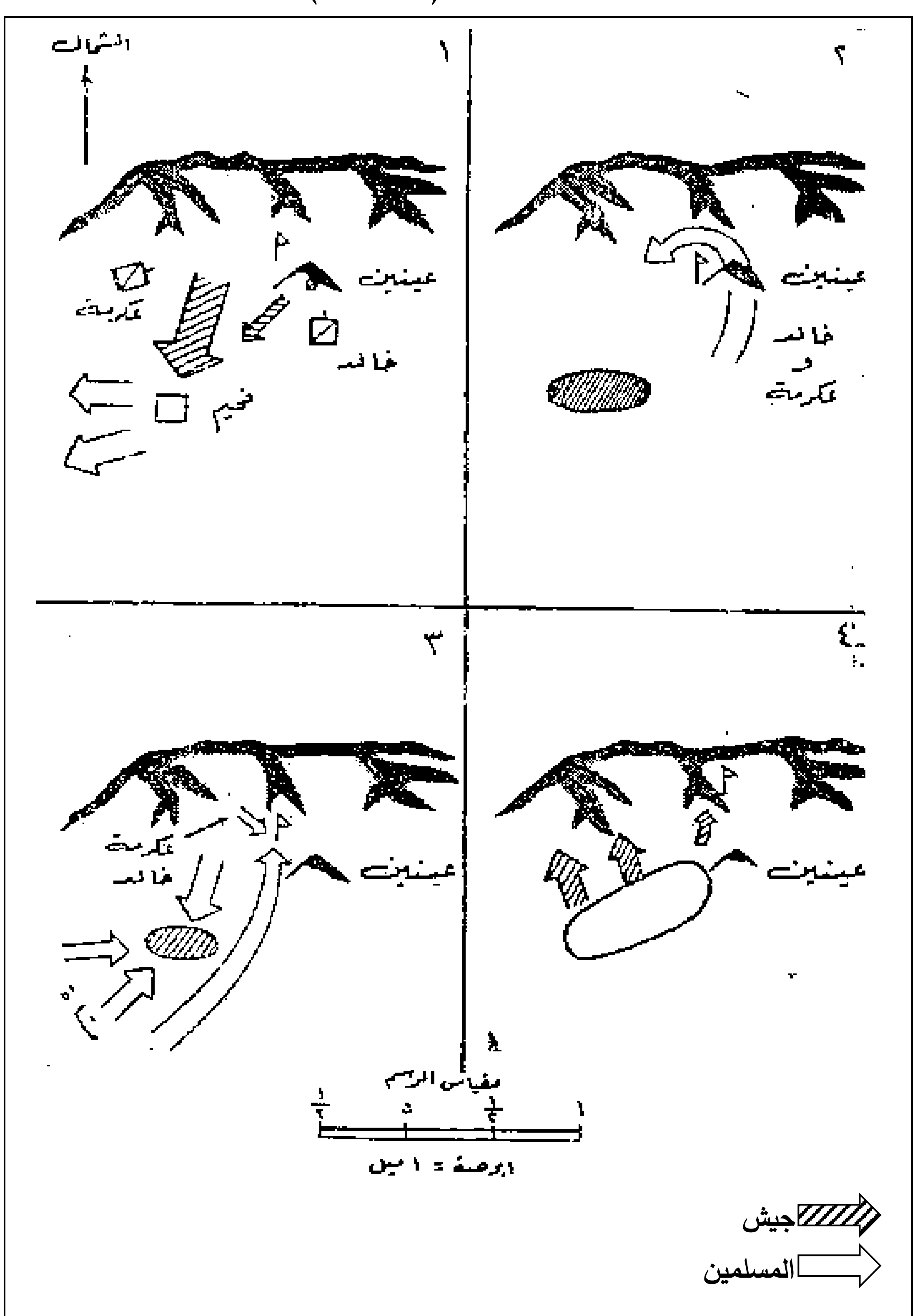
(1) الطبقات، ج2 ص41

(2) ابن سعد ، الطبقات، ج2 ص41. ابن عبد البر ، الدرر، ج1 ص148

(3) الكامل ، ج2 ص154؛ احمد محمد باشميل، غزوة احد، قدم له محمود شيت خطاب، (مكة المكرمة 1964) ص 181 - 182.

الخريطة رقم (1)

معركة أحد (اثر الجبل)



استلت من كتاب سيف الله المسلول خالد بن الوليد

للجنرال أأ اكرم

وقد عالج الرسولﷺ الموقف بحكمة وشجاعة نادرة؛ وذلك لانه استعان مرة اخرى بالعامل الجغرافي في المنطقة وهو الجبل، إذ انسحب بقواته إلى الشعب باتجاه الجبل معتصما بالصخرة التي هي باعلى الجبل وهذا الموقع الجديد حال دون ملاحقة قوات المشركين للرسولﷺ باستثناء كتيبة الخيالة[1]، التي لم تتمكن من الاستمرار في الهجوم لعدم امكانية الخيل المشي على الصخور نحو القمة، فقال رسول الله ﷺ "اللهم لا ينبغي ان يعلونا"[2] فقاتلهم عمر بن الخطاب ورهط من المسلمين حتى اهبطوهم من الجبل.

وفي غزوة الخندق[3] التي حدثت سنة 5هـ 627 م علم الرسولﷺ بخروج جيش الاحزاب يروم المدينة المنورة للقضاء على المسلمين، وقد تشاور الرسول ﷺ مع الصحابة (رضي الله تعالى عنهم) فاشار اليه سلمان الفارسي بحفر الخندق[4].

وبعد استطلاع المكان كان اعجب المنازل اليه "ان يجعل سلع[5] خلف ظهره ويخندق من المذاد [6] الى ذباب[7] الى راتج[8]"[9].

---

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، ج3 ص86؛ الخضري بك، محاضرات، دار المعرفة بيروت (بلا ت) ص112.

(2)ابن هشام، السير النبوية، ج3 ص86.

(3) الحنبلي، شذرات الذهب ، ج1 ص11.

(4) ابن هشام، السيرة النبوية ، ج3 ص224؛ ابن سعد، الطبقات، ج2 ص66؛ ابن كثير، البداية والنهاية ، ج4 ص96؛ الحلبي، السير الحلبية ج2 ص331؛ محمود شيت خطاب، الشورى العسكرية ، ص48؛ الخضري بك، محاضرات، ص119.

(5) سلع : بفتح اوله وسكون ثانيه، السلوع شقوق في الجبل، واحدها سلع، وسلع جبل في المدينة، ياقوت الحموي، معجم البلدان ج6 ص58.

(6) المذاد: المرتفع ، موضع بالمدينة، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج7 ص232.

(7) ذباب: جبل بالمدينة، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4 ص372.

(8) راتج: اطم من اطام اليهود بالمدينة وتسمى الناحية به، ياقوت الحموي ، معجم البلدان، ج4 ص378.

(9) الواقدي، المغازي،ج2ص445-446؛ ابن سعد، الطبقات، ج2 ص66؛ الحلبي، السيرة الحلبية،ج2 ص331.

يعد حفر الخندق من الاعمال العسكرية العظيمة التي خلدها التاريخ والتي فوجئ بها المشركون وعلى الرغم من ان حفر الخندق لم يشمل كل جهات المدينة المنورة وانما اقتصر على الجهة الشمالية، ولكي نصل الى حقيقة ذلك التخطيط العسكري علينا وصف المدينة المنورة من جهاتها الاربع، والمدينة كما سماها الرسولﷺ "طيبة في مستوى من الارض عذبة برية جبلية وذلك لان لها جبلين احدهما احد والاخر عير"(1) حيث يحدها من الجنوب جبل عير ومن الشمال جبل احد(2) ويحد المدينة من الشرق حرة واقم(3)ومن الغرب حرة الوبرة(4)ويحيط باكثرها بساتين ونخل وقرى(5).

وقد وزع الرسول ﷺ الحفر في الخندق على اصحابه الكرام (رضي الله عنهم) وكان ذلك عاملا لتنافس المسلمين فيما بينهم من اجل الاسراع في انجاز هذه المهمة.

ويذكر ابن سعد ان الرسول ﷺ قد وزع العمل بين المهاجرين والانصار "فكان المهاجرون يحفرون من ناحية راتج الى ذباب وكان الانصار يحفرون من ذباب الى بني عبيد، وخندقت بنو دينار من عند جربا الى موضع دار ابن ابي، وفرغوا من حفره في ستة ايام"(6).

---

(1) ابن رسته، ابو علي احمد بن عمر، الاعلاق النفيسة ، (طبع ليدن سنة 1891)، المجلد السابع ص312.

(2) هاشم يحيى الملاح، الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة، مط جامعة (الموصل 1991)، ص33.

(3) حرة واقم : اطم من اطام المدينة، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج8 ص440.

والحرة : الارض ذات حجارة سود، الفيروز آبادي، القاموس المحيط ، ج2 ص7.

(4) محمود الدرة، تاريخ العرب العسكري، ص 130 – 131؛ أأ أكرم ، سيف الله المسلول خالد بن الوليد ، ترجمة صبحي الجابي، ط4 ، مؤسسة الرسالة (بيروت 1402هـ – 1982م)، ص78–79.

(5) المقدسي، ابو عبد الله محمد بن احمد البشاري، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، تحقيق الدكتور محمد مخزوم ، دار احياء التراث العربي، (بيروت 1987). ص120 .

(6) الطبقات ، ج 2 ص66– 67.

وكما موضع في الخريطة (2) ان خندقة المسلمين في ارض مكشوفة في الجهة الشمالية وسائر المدينة يعتبر حصنا مشبكا بالبنيان[1] وبالتضاريس الجغرافية وفضلا عن ذلك وجود الآطام والزروع.

والجدير بالذكر ان طول الخندق (12000) ذراع[2] وقد اشترك في حفره ثلاثة آلاف مقاتل قسموا على مجاميع كل عشرة اشخاص يحفرون اربعين ذراعا ويعد حفر هذا الخندق عملاً حربياً ضخماً انجز في فترة وجيزة وقد كان لحسن تنظيم العمل ومواجهة الاعداء بهذا الاجراء اثره الحاسم في نتيجة المعركة [3].

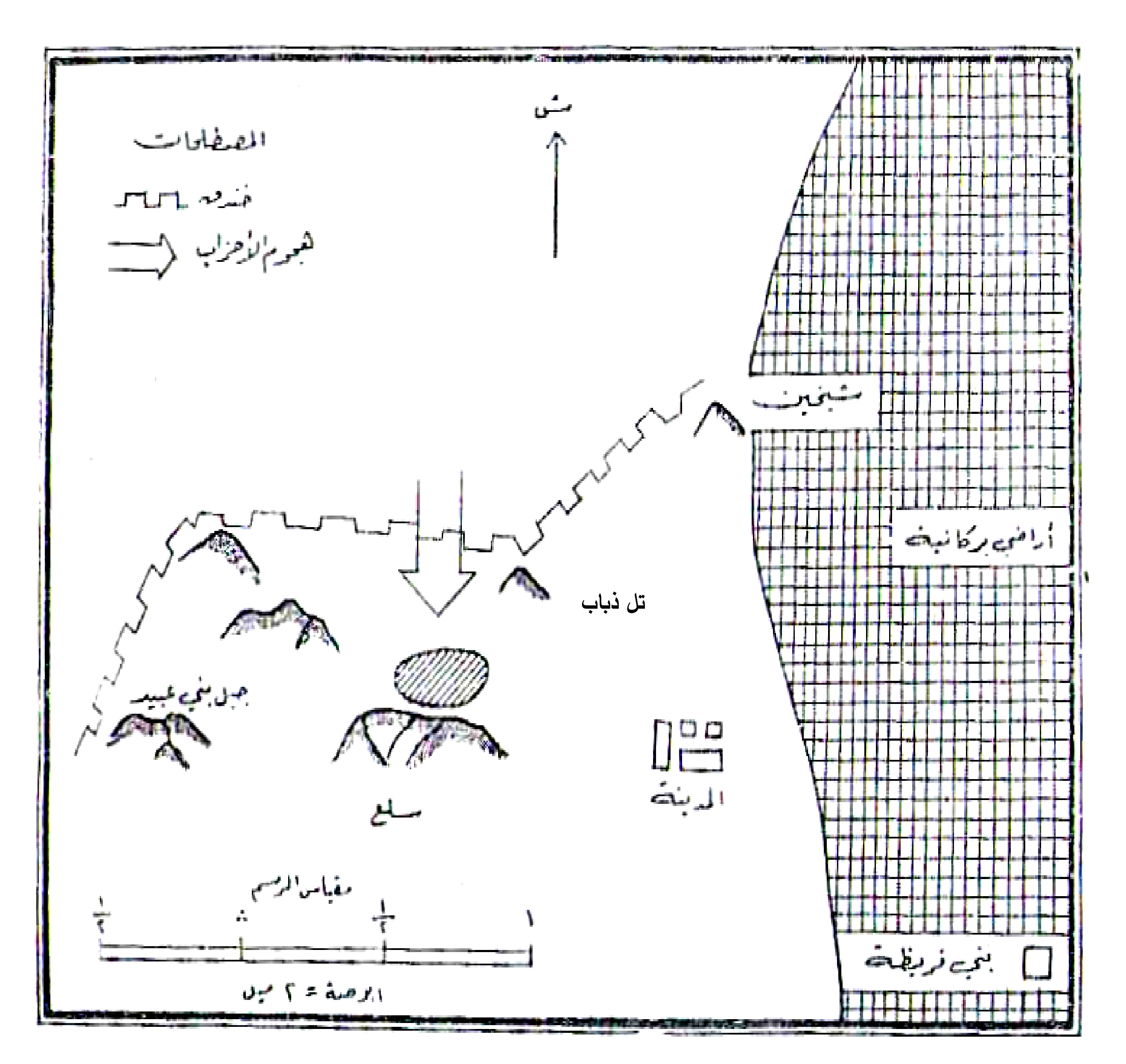
(1) ابن سعد، الطبقات، ج2 ص66؛ ابن كثير، البداية والنهاية ، ج4 ص96؛ الحلبي، السيرة الحلبية ، ج2، ص336.

(2) الذراع يساوي 49 سم ينظر فالتر هنتس المقاييس والاوزان الاسلامية ، ترجمة كامل العسلي ، مط القوات المسلحة الاردنية (بلا ت) ص83 .

(3) محمد عبد الستار عثمان، المدينة الاسلامية، عالم المعرفة (الكويت 1988) ص59.

الخريطة رقم (2)

غزوة الخندق



استلت من كتاب سيف الله المسلول خالد بن الوليد

للجنرال أ أ اكرم

اقبلت قريش وزعيمها ابو سفيان فنزلت "بمجتمع الاسيال من رومة[1]، بين الجرف وزغابه[2]، واقبلت غطفان، حتى نزلوا بذنب نقمى[3] الى جانب احد"[4].

اما المسلمون فقد "جعلوا ظهورهم الى سلع، والخندق بينهم وبين القوم، وامر بالذراري والنساء فجعلوا في الآطام[5]"[6].

فالجبل يسندهم من الخلف خشية مجيء منافقي المدينة واليهود والخندق يحول بينهم وبين الاعداء.

والذي يستخلص من غزوة الخندق ان النبيﷺ استفاد من جغرافية المدينة المنورة فلم يخندق من الجنوب لوجود جبل عير ولم يخندق من الشرق لوجود حرة واقم وجبل بني عبيد وانما اكتفى بالمنطقة الشمالية لانها كما ذكرنا منطقة مكشوفة تسمح لجيش الاحزاب بدخول المدينة، الا ان النبي محمدﷺ افاد من جبل سلع الذي يواجه منطقة الخندق فنزل في السفح جاعلا منه درعا لظهور المسلمين اذ تميز ذلك الجبل بارتفاع يبلغ 400 قدم[7] وطول ميل واحد وهو يمتد من الشمال الى الجنوب وبه نتوءات في

---

(1) رومة: ارض بالمدينة بين الجرف وزغابه نزلها المشركون ايام الخندق ، ياقوت الحموي، معجم البلدان ، ج4 ص448.

(2) زغابه : بضم الزاي وعين مهملة، قال ابن اسحق لما فرغ رسول الله ﷺ من حفر الخندق اقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الاسيال بين الجرف وزغابه : معجم البلدان ، ج4 ص476.

(3) نقمى : موقع من اعراض المدينة، ياقوت الحموي، معجم البلدان ، ج8 ص339.

(4) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج3 ص217-218؛ الطبري ، تأريخ ، ج2 ص570؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج4 ص104.

(5) الاطام : مفردها اطم، حصن مبني بحجارة : الفيروز آبادي، القاموس المجيط ، ج4 ص76، ياقوت الحموي، معجم البلدان ج1 ص177.

(6) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج3 ص220؛ الطبري ، تأريخ ، ج2 ص570؛ ابن الاثير ، الكامل، ج2 ص180؛ ابن كثير ، البداية والنهاية، ج4 ص104.

(7) أأ كرام، ص78؛ محمود الدرة ، تاريخ العرب العسكري ، ص130-134

جميع الاتجاهات اضافة الى ذلك ان تل ذباب[1] يقع شمال شرق جبل سلع مما يجعل جانب المسلمين اكثر رصانة لنزولهم بين ثلاثة مرتفعات وهي سلع خلف ظهورهم وضباب عن يمينهم وجبل بني عبيد عن يسارهم.

وعلى الرغم من ان حصار المدينة قد دام اكثر من عشرين ليلة، الا ان جيش الاحزاب لم يستطيع تحقيق اي تقدم، وذلك ان الرسولﷺ كان رأيه صائبا باختيار وتحديد ارض المعركة فكان عاملاً في تحقيق النصر لحسن اختياره موضع الخندق.

على الرغم من ان المصادر سجلت عددا من المعارك التي اعتصم فيها العدو بالجبال وبطون الاودية، الا انها لم تذكر شيئا عن نتائج المعركة. ولعل ذلك يعود إلى الجبل نفسه إذ انه حالَ دون وقوع المعركة باتخاذه موئلاً للفرار.

وفي سنة 3 هـ / 624م غزا الرسول ﷺ غطفان بذي امر وعندما سمعوا بقدوم رسول الله ﷺ هربوا الى رؤوس الجبال[2].

وفي سنة 3هـ / 625م علم الرسول محمد ﷺ ان انمارا وثعلبة قد اجمعوا على حربه فمضى حتى اتى ديارهم في ذات الرقاع[3] فلم يجد احدا، لأنهم هربوا الى رؤوس الجبال[4]، لقد اثبتت هذه الغزوة ضعف الاعداء وعدم قدرتهم على مواجهة المسلمين بقيادة الرسول محمد ﷺ ، فقد هربوا الى رؤوس الجبال للاحتماء بها[5]

(1) الأصفهاني: الحسن بن عبد الله ، بلاد العرب، تحقيق صالح احمد العلي وآخرون، (الرياض 1968) ، ص35-36.

(2) ابن سعد، الطبقات، ج2 ص320؛ ابن الاثير ، الكامل ، ج2 ص142 ؛ السيوطي، الخصائص الكبرى، ج1 ص346.

(3) ذات الرقاع: جبل فيه بقع حمرة وسواد وبياض، وقد سميت الغزوة بذات الرقاع ابن سعد، ج2ص61.

(4) الواقدي، المغازي،ج1ص396؛ ابن سعد ، الطبقات ، ج2 ص61؛ المسعودي، التنبيه والاشراف، ص214.

(5) مروان اسود حمد ، تدابير الرسول ﷺ في شمال المدينة ، رسالة ماجستير غير منشور مقدمة الى كلية الاداب / جامعة بغداد (1411هـ 1990م) ص151.

وفي سنة 6هـ /627م غزا رسول الله ﷺ بني لُحيان واظهر الرسول ﷺ انه يريد الشام ليصيب من القوم غرة فاسرع السير حتى نزل على غران[1] وهي منازل بنو لحيان، فوجدهم قد تمنعوا في رؤوس الجبال[2].

وفي سنة 6هـ / 627 م ارسل الرسول محمد ﷺ ابا عبيدة عامر بن الجراح الى ذي القصة فساروا ليلتهم، فاغاروا عليهم مع الفجر، فاعجزوهم هربا في الجبال[3].

وفي سنة 7 هـ / 628م ارسل رسول الله ﷺ ابا بكر الصديق رضي الله عنه إلى بني كلاب بنجد واغاروا عليهم بعد صلاة الصبح فقتل من قتل وهرب الباقون إلى الجبل للاحتماء بها[4] .

ويروى ابن سعد عن سلامة بن الاكوع الذي كان احد افراد السرية انه قال "فرأيت عنقاً من الناس فيهم الذراري، فخشيت ان يسبقوني الى الجبل فادركتهم فرميت بسهم بينهم وبين الجبل....فجئت اسوقهم الى ابي بكر رضي الله عنه "[5].

ونخلص مما تقدم إلى ان الجبال تعد وسائل طبيعية يمكن الاحتماء بها والالتجاء اليها عند الضرورة وان من الصعب على سرايا رسول ﷺ ولاسيما المكلفة بواجبات محددة ان تتعقب اولئك الفارين في رؤوس الجبال لما يتطلبه ذلك من وقت وجهد وقوة.

2 ـ الوديان.

للوديان تأثير على الحركات العسكرية، وينحصر هذا التأثير بطول الوادي وقصره وفي عرضه وضيقه وفي عمقه وفي وجود الغابات فيه وعدمها، وكذلك طبيعة ارض

(1) غران : منازل بني لحيان وهو واد بين امج وعسفان، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج6 ص280.

(2) الواقدي ، المغازي ، ج2 ص536 – 537؛ ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج3 ص80؛ ابن سعد ، الطبقات، ج2 ص79 ؛ الطبري ، تأريخ ، ج2 ص595؛ المسعودي، التنبيه والاشراف ، ص218؛ ابن الاثير ، الكامل،ج2 ص188؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج4 ص83؛السهيلي، الروض الأنف،ج6 ص365-366.

(3) ابن سعد، الطبقات ، ج2 ص86؛ الطبري ، تأريخ، ج2 ص641.

(4) ابن سعد ، الطبقات ، ج2 ص118، والطبري، تأريخ، ج2 ص641.

(5) الطبقات، ج2 ص118؛ الطبري ، تاريخ، ج2 ص644.

الوادي سواء اكانت رملية ام طينية ام صخرية فانها تؤثر على الحركات العسكرية[1] ، ففي غزوة بدر كان للوادي اثر على المعركة بسبب طبيعة ارض الوادي اذ كانت رملية، فلما سقطت الامطار في الليلة التي حدثت فيها المعركة اذ يقول الواقدي "وبعث الله السماء، وكان الوادي دهسا، فاصابنا ما لبد الارض ولم يمنعنا من المسير واصاب قريشا ما لم يقدروا ان يرتحلوا فيه، وانما بينهم قوز من رمل"[2].

وفي صباح يوم المعركة تقدمت قريش عبر الوادي، وهم يخوضون الكثبان الرملية حتى تقطعت انفاسهم وذلك ان ارض الوادي اصبحت موحلة تسوخ فيها الاقدام والحوافر، في حين نجد المسلمين ثابتين في مواقعهم محافظين على قوتهم وذلك لأن الأرض قد تلبدت بفعل السماء لكونها رملية أما قريش فقد وصلت ارض المعركة مرهقة[3].

وفي سنة 8هـ /629م ارسل النبي محمد ﷺ غالب بن عبد الله الليثي إلى بني الملوح بوادي الكديد فنزلوا بعد الغروب، وقد كمنوا في ناحية الوادي حتى الفجر، ويروي جندب بن مكيث ذلك فيقول "فامهلناهم حتى راحت رائحتهم، حتى احتلبوا وعطنوا وسكنوا وذهبت عتمة الليل شننا عليهم الغارة"[4]، فكان الوادي مساعداً لأخذ الأعداء غفلة لأنه يساعد على الاختباء. وفي سنة 8هـ / 629م ايضا غزا رسول الله ﷺ هوازن بحُنين[5]، فاجتمعت هوازن وثقيف على مالك بن عوف النظري[6]، يريدون القتال، وفيهم دريد بن الصمة فقال بأي واد انتم؟ قالوا

---

(1) محمد شاكر ، الجغرافيا العسكرية ، كتاب منهجي لطلاب الكلية العسكرية ، ص104-105.

(2) الواقدي، المغازي، ج1 ص54؛ ابن سعد ، الطبقات، ج2 ص15؛ الطبري، تاريخ، ج2 ص455.

(3) كلوب، الفتوحات العربية الكبرى ص98.

(4) الطبري، تاريخ، ج3ص28 ؛ ابن سعد، الطبقات، ج2ص125؛ ابن الاثير، الكامل، ج2 ص 229-230.

(5) حنين:واد الى جانب ذي المجاز بينه وبين مكة ثلاث ليال : المسعودي التنبيه والاشراف ص214.

(6) مالك بن عوف النظري: مالك بن عوف بن سعد بن ربيعة بن يابوع بن واثلة بن دهمان بن نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن، وهو الذي باغت جيش المسلمين في وادي حنين ، اسلم واحسن اسلامه

باوطاس[1] قال "نعم مجال الخيل : لا حزن[2] ضرس[3] ولا سهل دهس"[4]، وكان ابن الصمة يعرف أثر طبيعة أرض الوادي في حسم المعركة لما فيه من الشعاب والمضايق التي تساعد على اخفاء المقاتلة فيه.

ويصف ابن هشام عن ابن اسحاق عن جابر بن عبدالله وادي حنين قائلاً "لما استقبلنا وادي حنين، انحدرنا في واد من اودية تهامة اجوف حطوط[5]، وانما انحدرنا فيه انحدارا"[6] وصل المسلمون إلى وادي حنين عند الفجر وقد سبقهم العدو بالوصول إلى أرض المعركة "فكمنوا لنا بشعابه وأحنائه ومضايقه وقد اجتمعوا وتهيئوا وأعدوا...".[7] ويذكر أن مالك بن عوف علم عن طريق عيونه بخروج الرسول محمدﷺ فلما كان من الليل حرك مالك جيشه إلى وادي حنين فوزع قواته على مضايقه وشعابه وأحنائه فكمنوا للمسلمين فيه[8]. فلما قدم المسلمون لعبور مضيق حنين عند الفجر ولم يعلموا بكمون العدو فيه، استقبلتهم هوازن من مضايق الوادي وشعابه بالكتائب حملة رجل واحد، انكشفت خيل سليم مولية[9].

شهد فتح دمشق والقادسية ؛ ابن الاثير : اسد الغابة، ج5، ص42-43 ؛ الذهبي : تجريد اسماء الصحابة، ج2، ص47.

(1) اوطاس : واد في ديار هوازن فيه وقعة حنين : ياقوت الحموي، معجم البلدان ج1 ص224.

(2) حزن : ما تخلط من الارض، الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، ج4 ص215.

(3) ضرس : حرة مغروسة فيها حجارة الفيروز آبادي ، القاموس المحيط، ج2 ص233.

(4) الواقدي،المغازي،ج3ص886-887؛ابن هشام،السيرة النبوية،ج4ص438؛ الطبري،تاريخ،ج3ص71.

(5) حطوط : منحدر شديد الانحدار، الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج2 ص367.

(6) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج4 ص442. ابن القيم الجوزية ، زاد المعاد، ج2 ص468.

(7) ابن هشام ، السرية النبوية، ج4 ص442-443 ؛ الطبري، التاريخ، ج3، ص74؛ ابن الاثير، الكامل، ج2 ص263.

(8) ابن سعد ، الطبقات ، ج2 ص150.

(9) الطبري ، تأريخ، ج3 ص74. ابن الاثير ج2 ص263.

ووصف الطبري عن جابر بن عبدالله خسارة مقدمة المسلمون بقوله "فوالله ما راعنا ونحن منحطون الا الكتائب قد شدت علينا شدة رجل واحد، وانهزم الناس اجمعون، فانشمروا لا يلوي احد على احد"[1].

(1) الطبري ، تأريخ، ج3 ص74. ابن القيم الجوزية ، زاد المعاد ج2 ص469.

فلما رأى الرسول ﷺ ما حل بالمقدمة انحاز ذات اليمين مع اصحابه في بروز صخري[1] ثم نظر الى المنطقة من وادي حنين، فاستبشر خيرا وقرر ان لا يدع مالكاً يذهب بهذا النصر، الذي باغت فيه المسلمين بالكمون ببطن وادي حنين.

بدأ المسلمون بالتجمع على اثر نداء العباس عم النبي محمد ﷺ في المعركة فاجابه المسلمون لبيك لبيك، حتى اذا بلغ عدد المسلمين مائة شن هجوما معاكسا على العدو، وقد دارت رحى المعركة حتى قال الرسول ﷺ "لقد حمي الوطيس"[2].

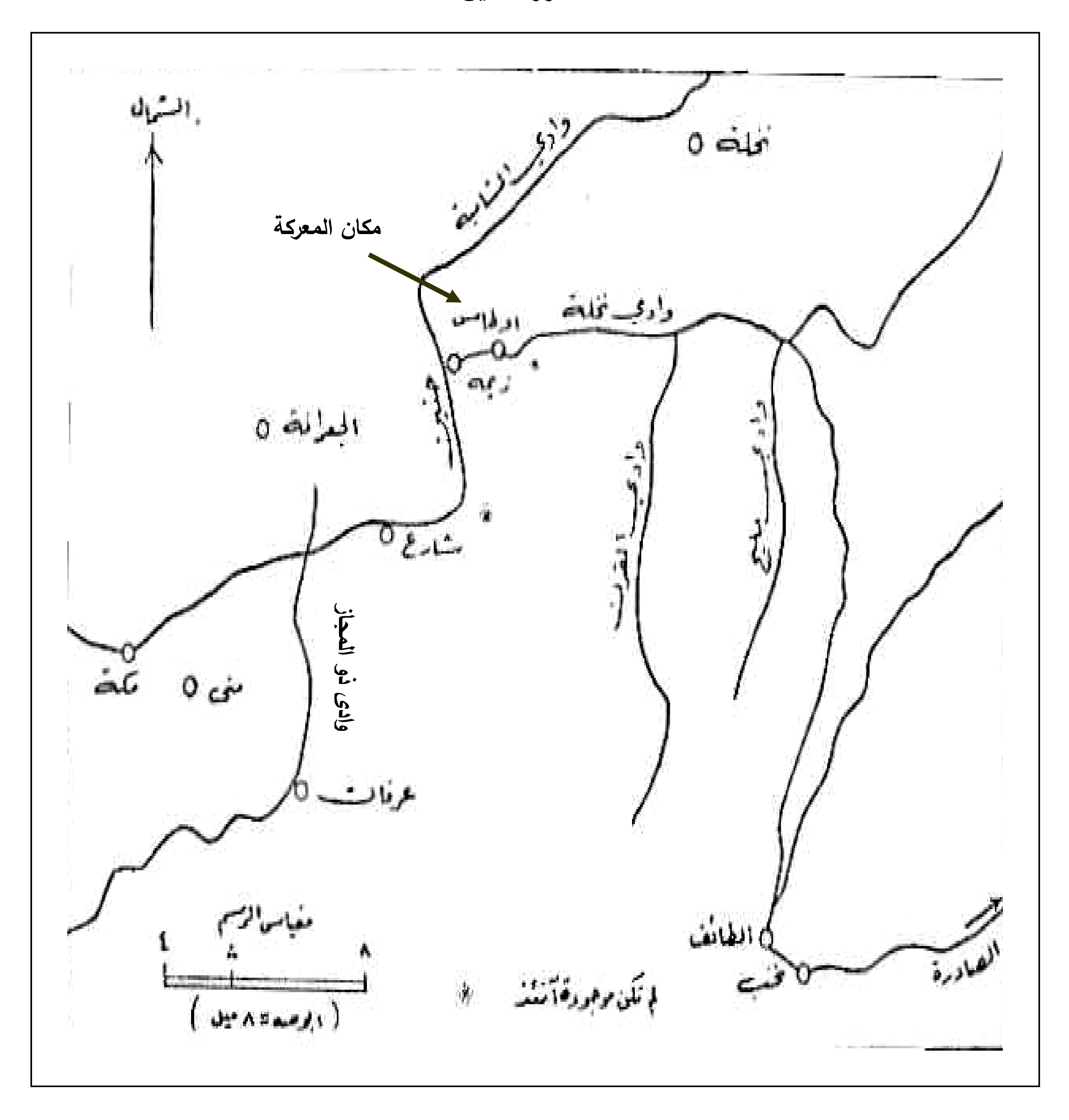
وهنا يتضح ان هزيمة المسلمين في بادئ الامر كانت بسبب كمون الاعداء في وادي حنين، ثم تدارك الرسول ﷺ الامر بالصعود الى احدى جنبات الوادي، ليكون مشرفا على المعركة، وشن هجوما على الاعداء وحقق النصر باذن الله تعالى، ينظر الخريطة (3)

(1) أأ اكرم ، سيف الله خالد بن الوليد، ص127 – 128.

(2) ابن هشام، السيرة النبوية ، ج3 ص445 ؛ الطبري ، تاريخ، ج3 ص75.

خريطة رقم (3)

غزوة حنين



الفصل الثـانــي

أثر العوامل الجغرافية في جبهة العراق والمشرق

المبحث الاول

أثـــــر العوامــل المنـاخيـــة

1 ـ الامطــار:

على الرغم مما تتمتع به مياه الامطار من محاسن إلا انها قد تترك آثاراً سلبية أو ايجابية على سير المعارك ففي معركة ذات السلاسل[1] التي وقعت سنة 12هـ/ 633م بين قوات المسلمين بقيادة القائد خالد بن الوليد رضي الله عنه وبين الفرس بقيادة هرمز [2]، وكانت هذه الوقعة في أرض فلاة، قد سبق هرمز فيها العرب المسلمين في اختيار ارض المعركة فتمت له السيطرة على آبار المياه في كاظمة[3] اما العرب فقد نزلوا على "غير ماء"[4].

ولما رأى القائد خالد بن الوليد رضي الله عنه سَبق العدو والسيطرة على آبار المياه التي تعد عصب القتال وخصوصا ان المنطقة التي وقعت فيها المعركة هي صحراء مقفرة، لذا

---

(1) ذات السلاسل، نسبة إلى السلاسل التي غنمها المسلمون من الفرس في هذه المعركة، الطبري، تأريخ ، ج3 ص349؛ ابن الاثير، الكامل، ج2 ص385، د. هاشم يحيى، الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة ، ص355

(2) الطبري، تاريخ، ج3ص348؛ ابن الاثير، الكامل، ج2 ص385؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج6 ص349.

(3) كاظمة : تقع على البحر في طريق البحرين من البصرة بينها وبين البصرة مرحلتان، وتشير الدراسات الحديثة بأن موقع كاظمة شمال مدينة الكويت الحالية، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج7 ص114؛ أأ أكرم، سيف الله المسلول خالد بن الوليد ، ص251.

(4) الطبري ، تأريخ ، ج3 ص349.

القى القائد خالد بن الوليد خطاباً في جنوده يحثهم على التضحية والفداء من اجل الحصول على مصادر المياه، وفي هذه الاثناء ارسل الله عزّ وجلّ على عباده المجاهدين المطر وقد تزامن نزوله مع بدء القتال حيث ذكر الطبري ذلك بقوله "وارسل الله سحابة فاغزرت ما وراء صف المسلمين فقواهم بها...."[1] فكانت هذه السحابة عونا للمسلمين الذين نزلوا على غير ماء على اعدائهم الفرس، فاقترن النصر في هذه المعركة بنزول ماء المطر الذي ساعد المسلمين وشد أزرهم في القتال، والحاق الهزيمة بالقوات الفارسية وقتل قائدها هرمز [2].

وفي معركة القادسية سنة 15هـ[3]/636م كان هناك اثر لمياه الامطار على سير المعركة بين الطرفين المتحاربين، إذ كان وصول القائد سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه إلى زرود[4] في اول الشتاء سبباً لتوقف القتال[5].

ففي شراف[6] تجمع الجند الى القائد سعد رضي الله عنه وتوالى عند ذلك سقوط الامطار، ونقل ذلك بن اعثم بقوله "فالتأمت العساكر الى سعد في جمع عظيم وقد هجم عليه الشتاء واكبت عليه الامطار"[7]، وعندما انتهى فصل الشتاء وتوقفت الامطار عن السقوط، قال كسرى لرستم "ان الشتاء قد انحسر عنا وعن هؤلاء القوم والارض قد اعشبت

(1) الطبري ، تاريخ، ج3 ص349.

(2) رباب جبار طاهر ، جبهة البصرة، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى كلية الاداب/ جامعة البصرة، (1409هـ-1989م) ص51.

(3) خليفة بن خياط، تاريخ بن خياط، ج1 ص101 – 102 ؛ هاشم يحيى، الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة ، ص366.

(4) زرود : بين الثعلبية والخزيمية على طريق الحاج، ياقوت الحموي ، معجم البلدان، ج4 ص474.

(5) الطبري، تاريخ، ج3 ص486.

(6) شراف : بين واقصة والفرعاء على ثمانية اميال من الاحساء، ياقوت الحموي، معجم البلدان ، ج5 ص131.

(7) ابن اعثم، أبو محمد أحمد بن أعثم، الفتوح، دائرة المعارف العثمانية (الهند 1968)، ج1 ص174.

والاشجار قد اينعت، فسر اليهم بخيلك ورجلك وجاهدهم ابدا حتى تردهم على ادبارهم من حيث جاءونا"[1].

ومما تقدم يبدو ان لسقوط الامطار وطبيعة الارض والبرد في فصل الشتاء أثر في توقف العمليات العسكرية ، وعند الربيع تبدأ العمليات العسكرية سيرها بعد أن تنمو الحشائش بفعل الأمطار فتكون غذاءً جيدا للحيوانات فضلاً عن ذلك اعتدال الجو الذي يساعد المقاتلة على القتال.

2 ـ البرد والدمق:

كان للبرد اثر في معارك المسلمين في العراق والمشرق وذلك لأنهم لم يألفوا هذه الطبيعة ولم يعتادوا على القر الشديد فكانوا يكابدون ذلك في الحروب ويصابرون من أجل الفتح فكان البرد في صالح الأعداء دائماً ومن الامثلة على ذلك.

ويظهر تأثير البرد في جيش مجاشع بن مسعود[2] عندما ارسله عبد الله بن عامر[3] للقضاء على ملك الفرس (يزدجرد)[4] وعند وصوله الى

بيمند[5] وهو الذي يقال له قصر مجاشع اصابهم البرد والثلج والدمق[6].

---

(1) ابن اعثيم، الفتوح، ج1 ص200.

(2) مجاشع بن مسعود بن ثعلبة بن وهب بن عائذ بن ربيعة له صحبة، غزا كابل في الهند، قال خليفة ابن خياط قتل يوم الجمل والمداني يقول قتل في قتال ابن الزبير اثناء سيطرته على البصرة، ابن الاثير: اسد الغابة، ج2،ص60-61، ابن حجر ، الاصابة ، ج3 ص362.

(3) عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناق بن قصي القريشي وهو ابن خال عثمان بن عفان ﷺ ، ولد على هد النبي ﷺ واتى به النبي ﷺ وهو صغير فقال هذا يشبهنا وجعل يتفل عليه ويعوذه، فجعل عبد الله يبتلع ريق رسول الله ﷺ فقال عنه الرسول ﷺ انه لمسقى فكان لا يعالج ارضا الا ظهر له الماء، استعمله عثمان بن عفان ﷺ على البصرة سنة 29هـ – بعد ابي موسى الاشعري وولاه بلاد فارس، افتتح خراسان كلها واطراف فارس وسجستان، وكرمان ، توفي ابن عامر سنة سبع او ثمان وخمسين. ابن عبد البر ، الاستيعاب، ج2 ص359–360. ابن الاثير ، اسد الغابة، ج3 ص288–289.

(4) سمير صالح ، عثمان بن عفان، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى كلية الاداب / جامعة بغداد (1411هـ–1990م) ص136.

فقد وصف البلاذري ذلك بقوله "فاصاب الناس الدمق وهلك جيشه فلم ينج الا القليل"(1).

اما الطبري فقد : اضاف على رواية البلاذري عوامل جغرافية اخرى تزامنت في آن واحد مما زاد آذى الجيش وهلاكه وقال "اصابهم الثلج والدمق، فوقع الثلج، واشتد البرد وصار الثلج قامة رمح، فهلك الجند وسلم مجاشع...."(2).

وفي سنة 32 هـ / 652م حاصر المسلمون مدينة خوارزم(3)، وقد هجم عليهم الشتاء فادى ذلك بالاحنف بن قيس(4) ان يرجع إلى بلخ لقضاء فصل الشتاء(5)، ثم مواصلة عملياته العسكرية في بداية الربيع، ويبدو ان عوامل المناخ لها اثر كبير على سير معارك الفتوح ومن ثم تؤدي إلى شل حركة الجيش بسبب برودة الشتاء وسقوط الامطار.

3 ـ اتجاه الريح والشمس:

حرص المقاتلة العرب المسلمون على ان تكون الريح واتجاه الشمس من خلف ظهورهم ففي معركة القادسية سنة 15هـ /636م كان مهب الريح من وراء ظهور

---

(5) بيمند : بلد بكرمان، وقيل بفارس، ياقوت الحموي، معجم البلدان ، ج2 ص419 .

(6) الدمق: ريح وثلج، الفيروز آبادي، القاموس، ج3 ص240.

(1) البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى ، فتوح البلدان، تحقيق صلاح الدين المنجد ، مط النهضة المصرية (القاهرة بلا ت)، ج2 ص387.

(2) الطبري، تاريخ، ج4 ص286؛ النويري، نهاية الارب، ج19 ص420.

(3) خوارزم: من بلاد خراسان، ياقوت الحموي، ج4 ص225؛ الحميري، محمد عبد المنعم ، الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق إحسان عباس،ط2، مكتبة(لبنان 1948)، ص224-225.

(4) الاحنف بن قيس ، والاحنف لقبه واسمه الضحاك وقيل صخر بن قيس بن ومعاوية بن حصين بن عبادة بن النزال بن مرة بن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد التميمي السعدي، ادرك النبي ﷺ ولم يره ودعا له النبي ﷺ فلهذا ذكروه. اسلم في زمنه وكان الاحنف بن قيس من الحكماء والعقلاء ويعد من كبار التابعين في البصرة ، توفي سنة 67هـ في الكوفة؛ ابن الاثير: اسد الغابة، ج1، ص68-69 ؛ الذهبي: تجريد اسماء الصحابة، ج1،ص10.

(5) الطبري، تاريخ، ج4 ص313.

المسلمين وفي وجوه الفرس وهذا التوقيت يدل على فطنة القائد سعد بن ابي وقاص ﷺ وخبرته العسكرية الفذة في استثمار الظروف الطبيعية لصالح المعركة وبذلك نجد ان القائد سعد بن ابي وقاص قد اقتدى بسنة الرسول ﷺ في هذا الجانب، فقد ذكر الطبري ذلك بقوله "وهبت ريح عاصفة فقلعت طيارة رستم عن سريره، فهوت في العتيق وهي دبور"[1].

فكان الغبار والاتربة في وجوه الفرس، وربما كان لها الاثر الاكبر في التأثير على نفسية المقاتل الفارسي واضعاف معنوياته مما يؤدي إلى تعزيز النصر لصالح المسلمين.

اما اتجاه الشمس فقد كان في اعين العدو، وهذا يرتبط ارتباطا وثيقا بموقع القوات العربية الإسلامية، وكما هو موضح في الخريطة رقم (4).

إذ نجد ان اتجاه قوات المسلمين الى الجنوب والجنوب الغربي[2]، وبذلك تكون الشمس في اعين العدو من الصباح وحتى بعد منتصف النهار وبطبيعة الحال تكون الشمس خلف قوات المسلمين وفي ظهورهم، وهذا يؤثر في دقة الرؤيا ودقة تحديد الهدف ومن ثم التأثير على دقة إصابة الرماة لاهدافهم.

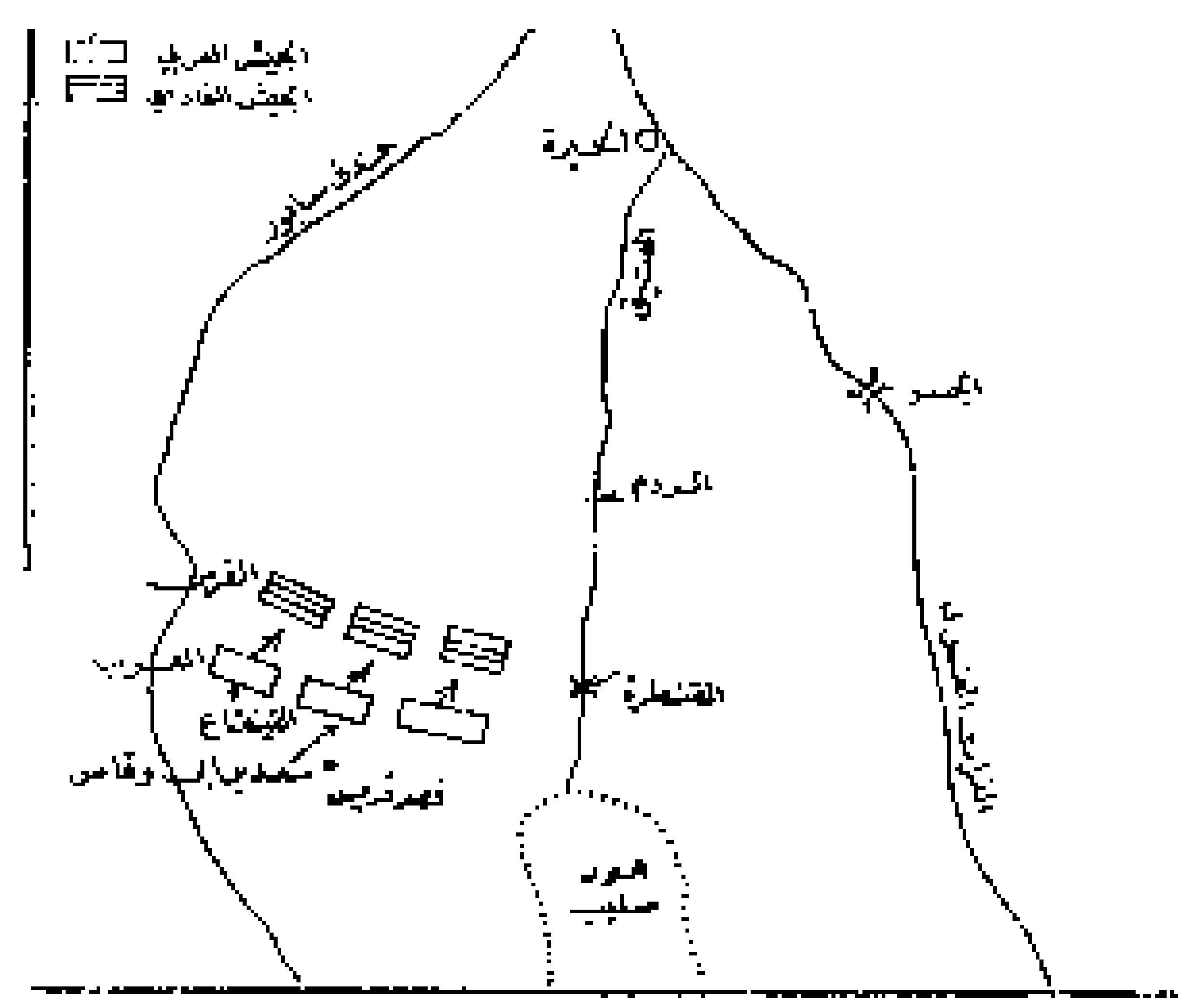
---

(1) تاريخ، ج3 ص564؛ ابن الاثير، الكامل، ج2 ص481ج النويري، نهاية الارب، ج19 ص214 ؛ كمال، احمد عادل، استراتيجية الفتوحات الاسلامية القادسية، دار النفائس (بيروت 1981)، ص237.

(2) احمد كمال عادل ، القادسية، ص236.

خريطة رقم (4)

موقع القوات العربية في معركة القادسية



وفي معركة جلولاء[1] سنة 16هـ / 637م كان للريح اثر على جند الفرس، وقد وصف الطبري ذلك بقوله "وبعث الله عليهم ريحا اظلمت عليهم البلاد فلم يستطيعوا الا المحاجزة، فتهافت فرسانهم في الخندق...."[2] فاظلام كان بسبب ما تحمله الريح من غبار واتربة حجبت ضوء الشمس ولانعدام الرؤيا ولشدة ما اصاب الفرس من هذه الظلمة جعلت فرسانهم يسقطون في الخندق وربما ساهمت وهذه الريح في اضعاف مقاومة الفرس وتحقيق النصر للمسلمين.

4 – اثر المناخ في اختيار موقع المعسكرات الإسلامية:

لم يغفل المسلمون طبيعة الموقع الجغرافي والمناخ في اختيار موقع او مكان المعسكرات الاسلامية التي شيدوها، وقد تزامن انشاؤها مع بدء الفتوحات العربية الاسلامية، وذلك لنشر الدين الاسلامي وتحرير الارض العربية ومن الامثلة على ذلك معسكرا البصرة والكوفة، التان أصبحتا فيما بعد قاعدتين عسكريتين لانطلاق الجيوش لفتح المشرق ونشر راية الاسلام في البلاد المفتوحة.

(1) جلولاء: طسوج من طساسيج السواد في طريق خراسان بينهما وبين خانقين سبعة فراسخ، ياقوت الحموي، معجم البلدان ، ج3 ص71.

(2) تاريخ ، ج4 ص25؛ احمد كمال عادل، القادسية، ص74 –75.

أ. معسكر البصــرة[1]:

اتخذت البصرة كمعسكر عندما أرسل الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ عتبة بن غزوان ﷺ[2] سنة 14هـ /635م [3] وقال له "صر الى ناحية البصرة واشغل من هناك من اهل الاحواز وفارس وميسان عن امداد اخوانهم على اخوانك"[4]

وفي رواية الطبري التي تشابه من حيث المعنى رواية البلاذري، قال عمر بن الخطاب لعتبة بن غزوان "قد فتح الله عز وجل على اخوانكم الحيرة وما حولها، وقتل عظيم من عظمائها ولست آمن ان يمدهم اخوانهم من اهل فارس، فاني اريد ان اوجهك الى ارض الهند لتمنع اهل تلك الجيزة من امداد اخوانهم على اخوانكم، وتقاتلهم لعل الله يفتح عليكم"[5]، فنزل الخريبه[6] والسبب في ذلك يعود الى موقعها على طرف الصحراء الذي يشكل اكثر امانا للجيش[7].

---

(1) البصرة : مصرت البصرة كمعسكر عندما ارسل الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ الى عتبة بن غزوان سنة 14 هـ واختطها، ياقوت الحموي ، معجم البلدان، ج2 ص342 ؛ ابو الفداء، عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر، تقويم البلدان تصحيح رينود البارون ماك كوكين ديسلان، دار الطباعة السلطانية (باريس 1840)، ص308، الحميري، محمد بن عبد المنعم ، الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق د. احسان عباس ، (بيروت، 1984)، ص105.

(2) عتبة بن غزوان بن جابر بن وهب بن نسيب بن زيد بن مالك بن حارث يكنى ابا عبد الله وقيل ابو غزوان وهو حليف بنو نوفل بن عبد مناف بن قصي وهو سابع سبعة في الاسلام، هاجر الى الحبشة وهو ابن اربعين سنة ثم عاد الى رسول الله ﷺ وهو بمكة فاقام معه حتى هاجر الى المدينة وكان من السابقين ، شهد بدر والمشاهد مع رسول الله ﷺ وارسله عمر بن الخطاب ﷺ الى ارض البصرة ليقاتل من بالابلة فسار وافتتح الابلة واختط البصرة وهو او من نصرها وعمرها ، فتح دست ميسان وغنم ما فيها، توفي بالربذة سنة سبع عشر وقيل سنة خمس عشر وهو ابن سبع وخمسين سنة ؛ ابن الاثير، اسد الغابة ص565-566 ؛ الذهبي، تجريد اسماء الصحابة، ج1 ص371. ، ابن حجر، الاصابة ج2 ص445.

(3) خليفة بن خياط، تاريخ بن خياط، ج1 ص96؛ عبد الوهاب النجار، الخلفاء الراشدون دار الكتب العلمية (بيروت 1399 هـ 1979م)، ص179.

(4) البلاذري، فتوح ، ج2 ص419.

(5) الطبري ، تاريخ، ج3 ص590 – 591.

وكتب عتبة بن غزوان ﵁ يعلم الخليفة ﵁ بنزوله فيها وانه "لابد للمسلمين من منزل يشتون به اذا شتوا ويسكنون فيه اذا انصرفوا من غزوهم" [1]. فاجابه الخليفة عمر بن الخطاب ﵁ "بان يختار موقعا قريبا من الماء والمرعى"[2] وبعد ان اختار عتبة المكان الملائم الذي يرغب فيه الخليفة ﵁ كتب اليه وقال "وجدت ارضا كثيرة القصب في طرف البر الى الريف دونها مناقع الماء وفيها قصباء"[3] ولما وصلت رسالة عتبة في وصف المنطقة الى عمر قال "هذه ارض بصرة قريبة من المشارب والمراعي والمحتطب"[4] من المؤكد ان الخليفة عمر﵁ ادرك اهمية موقع البصرة العسكري، وذلك لقربها من الماء والمراعي والوقوف في طرف البر قريباً من الريف، فضلاً عن ذلك انه لا توجد حواجز طبيعية تفصل بينها وبين مركز الخلافة[5] (المدينة المنورة) وهذا يسهل وصول الامداد والتموين عند الحاجة، أما حدود المدينة[6] فانه يحيط بها من جهة الشرق شط العرب ومن الجنوب الخليج العربي ومن الغرب الصحراء التي يلجأ اليها العرب اذا ما افلح اعداؤهم في مناجزتهم من ان يحموا ظهورهم بالصحراء، ويتخذوا منها خطاً لرجعتهم عند اشتباكم مع العدو لأنهم يعرفون مسالكها[7] .

(6) الخريبة: موضع بالبصرة، ياقوت الحموي، معجم البلدان ، ج3 ص228.

(7) صالح احمد العلي ، خطط البصرة ومنطقتها، مطبوعات المجمع العلمي العراقي 1981، ص46.

(1) البلاذري، فتوح، ج2 ص425؛ العلي، صالح احمد، خطط البصرة، ص46.

(2) البلاذري، فتوح، ج2 ص425؛ الطبري، تاريخ ج3 ص591؛ العميد، طاهر مظفر خطط المدن العربية الاسلامية مطبعة جامعة (بغداد 1986)، ص210.

(3) البلاذري، فتوح، ج2 ص425.

(4) ياقوت الحموي، معجم البلدان ، ج2 ص342.

(5) امل عبد الحسين عباس، الابلة في العصر الاسلامي حتى 257هـ، رسالة ماجستير مقدمة الى مجلس كلية الاداب / جامعة بغداد، (1976) ص55.

(6) عبد القادر سليمان المعاضيدي، بناء المعسكرات الاسلامية، بحث في كتاب الجيش والسلاح (بغداد 1988) ، ج3 ص256.

(7) العميد، ظاهر مظفر، تخطيط المدن العربية الاسلامية، ص211.

ب. معسكر الكوفــة:

بعد الانتهاء من فتح العراق ارسل القائد سعد بن ابي وقاص ﷺ الوفود الى المدينة المنورة فلما راى الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ قد تغيرت الوانهم؟ قال "والله ما هيئتكم بالهيئة التي ابدأتم بها... فما غيركم؟ قالوا : وخومة البلاد"(1). فنظر في حوائجهم وعجل سراحهم.

ويذكر ابن الاثير ان حذيفة بن اليمان الذي كان مع القائد سعد بن وقاص ﷺ في المدائن قد ارسل الى الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ رسالة يذكر فيها حال العرب في المدائن وقال "ان العرب قد رقت بطونها وجفت أعضاءها وتغيرت الوانها"(2)، فكتب الخليفة ﷺ الى سعد ﷺ مستفسرا عن سبب تغير الوان الجند وضعف اجسامهم، قائلا : "انبئني ما الذي غير الوان العرب ولحومهم؟"(3) فأجابه سعد ﷺ: "ان العرب خددهم وكفى الوانهم وخومة البلاد ودجلة"(4).

فكتب الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ الى القائد سعد بن ابي وقاص ﷺ يأمره بان يبحث عن مكان للجند يشبه بطبيعته الجغرافية جزيرة العرب وحدد له من يقوم بمهمة اختبار المكان وطبيعته فقال "ان العرب لا يوافقها الا ما وافق ابلها من البلدان فابعث سلمان وحذيفة فليرتادوا منزلا بريا بحريا ليس بيني وبينكم فيه بحر ولا جسرا"(5)، وقد نفذ القائد سعد ﷺ امر الخليفة ﷺ وارسل كل من حذيفة ﷺ وسلمان

---

(1) الطبري، تاريخ، ج4 ص40، ابن الاثير، الكامل، ج2 ص527، النويري، نهاية الادب ج19 ص339، ابن كثير، البداية والنهاية، ج7 ص76.

(2) الكامل، ج2 ص527.

(3) الطبري، تاريخ، ج4 ص41، ابن الاثير الكامل، ج2 ص527

(4) الطبري، تاريخ، ج4 ص41، ابن الاثير الكامل، ج2 ص527

(5) الطبري تاريخ، ج4 ص41، ينظر البلاذري، فتوح البلدان ج2 ص338 – 339، ابن قتيبة، اي محمد عبد الله بن مسلم، المعارف دار الكتب العلمية بيروت لبنان 1407 هـ –1987 ص314، النويري، نهاية الارب، ج19 ص338، عبد الجبار ناجي، دراسات، ص106.

ﷺ لاختيار المكان الجديد للجند فوقع الاختيار على الكوفة[1] وانتقل اليها سعد ﷺ مع الجند سنة 17هـ /637م[2].

ويبدو أن العرب الفاتحين قد سكنوا المدائن اول الامر لكنهم لم يستطيعوا البقاء فيها بسبب "وخومه البلاد"[3]، وبذكر ان سعد بن ابي وقاص ﷺ اراد السكن في الانبار مع جنده "فكثر على الناس الذباب"[4]، وقال الطبري "نزل سعد الانبار فاجتووها واصابتهم الحمى فلم توافقهم"[5] وانتقل سعد إلى كويفة عمر [6] "فلم توافق الناس مع الحمى والذباب"[7].

مما حدا بسعد ان يرسل الوقود لاختبار المكان المناسب للجند حتى استقروا بالكوفة وقد ول عليها ابن بقبله وقال "ادلكم على بلدة ارتفعت على البعوضة وطأطأت على البقعة وطعنت في البرية وخالطت الريف فدلنا على الكوفة فاختط الناس ونزلوا"[8].

ويذكر ابن خياط ان العرب قد سكنت المدائن فاجتدووها وشكوا الى عمر ذلك فقال "اتصبر الابل بالمدائن ؟ قالوا لا ان بها بعوضا قال : فان العرب لا تصبر ببلاد لا تصبر بها الابل"[9].

---

(1) الكوفة : مصرت في زمن الخليفة عمر بن الخطابﷺ سنة 17هـ الحموي، ياقوت معجم البلدان ح ص160 – 163، الحميري، محمد عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الاقطار، ص494– 496، ابو الفداء، تقويم البلدان، ص301.

(2) الطبري، تاريخ، ج4 ص40.

(3) الطبري تاريخ، ج4 ص40.

(4) البلاذري، فتوح، ج2، ص338.

(5) تاريخ، ج3 ص579.

(6) الطبري تاريخ، ج3 ص579.

(7) البلاذري، فتوح، ص339.

(8) ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ج1 ص109، الطبري، تاريخ، ج4 ص41.

(9) ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ج1 ص109

ومما تقدم يبدو ان للمناخ والموقع الجغرافي قد لعبا دورا مهما في اختيار مدينة الكوفة حيث تقع على اطراف الصحراء وذلك حتى تبقى وسائل الاتصال للامراء مفتوحة مع مركز الدولة (المدينة المنورة).

واذا ما تعرض العرب فيها الى مصاعب عسكرية تستطيع المقاتلة العرب الانسحاب الى عمق الصحراء والاحتماء بها[1].

ومن الاسباب الاخرى التي حالت دون سكن المقاتلة العرب في المدن المحررة مثل المدائن والانبار والابلة وذلك بسبب، وجود مانع حيث ان نهري (دجله والفرات) يحولان بين الجند ومركز الخلافة وهذا يتنافى مع ما جاءت به وصايا الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه "...، ليس بيني وبينكم فيه بحرا ولا جسرا "[2]

(1) عبد الجبار ناجي، دراسات، ص157، العميد، طاهر مصطفى العمر، ص228 – 229.

(2) الطبري تاريخ ج3 ص351، ابن الاثير، الكامل، ج2 386.

المبحــث الثانــي

أثــــر الميـــــاه

1 - ميـاه الآبـار:

لميـاه الآبـار اثـر علـى معـارك المسـلمين مـع الفـرس، ففـي جبهـة العـراق، تمثلت اهمية مياه الآبار في معركة ذات السلاسل "كاظمة" التي وقعت كما ذكرها في المحـرم 12هـ / اذار 633م عنـدما سـبق العـدو القائـد خالـد بـن الوليـد ﷺ الـى ارض المعركة فسيطر على منابع المياه فيها (مياه الآبار) وما ان وصل القائد خالد بن الوليد ﷺ ، حتى عرف اهمية هذا العامل الحيوي في المعركة ثم قال "الا انزلوا وحطوا اثقالكم ثم جالدوهم على الماء فلعمري ليصيرن الماء لأصبر الفريقين واكرم الجندين"[1].

من المؤكد ان المعركة في كاظمة كانت معركة على الماء لانها حدثت على اطراف الصحراء، فالتقت صفوف الجيشين وانتهت بنصر العرب على اعدائهم الفرس[2].

2 ـ مياه الانهــار:

لمياه الانهار اثر على عدد من معارك المسلمين التي خاضوها مع اعدائهم الفرس وتقسم الى قسمين:

---

(1) الطبري، تاريخ، ج3 ص349، ابن الاثير الكامل، ج2 ص 382، ابن كثير، البداية والنهاية، ج1 ص349 الجنرال أأ كرام، سيف الله خالد بن الوليد، تفاصيل المعركة ص257، محمود الدرة، تاريخ العرب العسكري، ص309.

(2) صالح مهدي عماش، من ذي قار الى القادسية .دار الحرية للطباعة (بغداد 1973) ص79 .

أ – معارك الضفاف:

من المعارك التي حدثت على ضفاف نهري دجلة والفرات او فروعهما، ومنها معركة المذار [1] التي وقعت 12هـ / 633م او الثني [2]. فعلى اثر الرسالة التي بعث بها القائد خالد بن الوليد ﷺ الى هرمز كتب هرمز الى الملك يخبره بجموع العرب المسلمين فامده بقارن بن قريانس، خرج قارن من المدائن ممدا لهرمز وعندما بلغ المذار علم بهزيمة الفرس وقتل هرمز في معركة ذات السلاسل فعسكر قارن على الضفة الشرقية لنهر دجلة[3].

لقد كان سبب اتخاذ قارن هذه المنطقة معسكرا لجيشه لانها يحدها من الشرق البطائح (الاهوار) ومن الغرب نهر دجلة وبذلك امن مجنبتاه بالنهر والبطائح من أي حركة التفاف يقدم عليها القائد خالد بن الوليد ﷺ لا حظ الخريطة رقم (5).

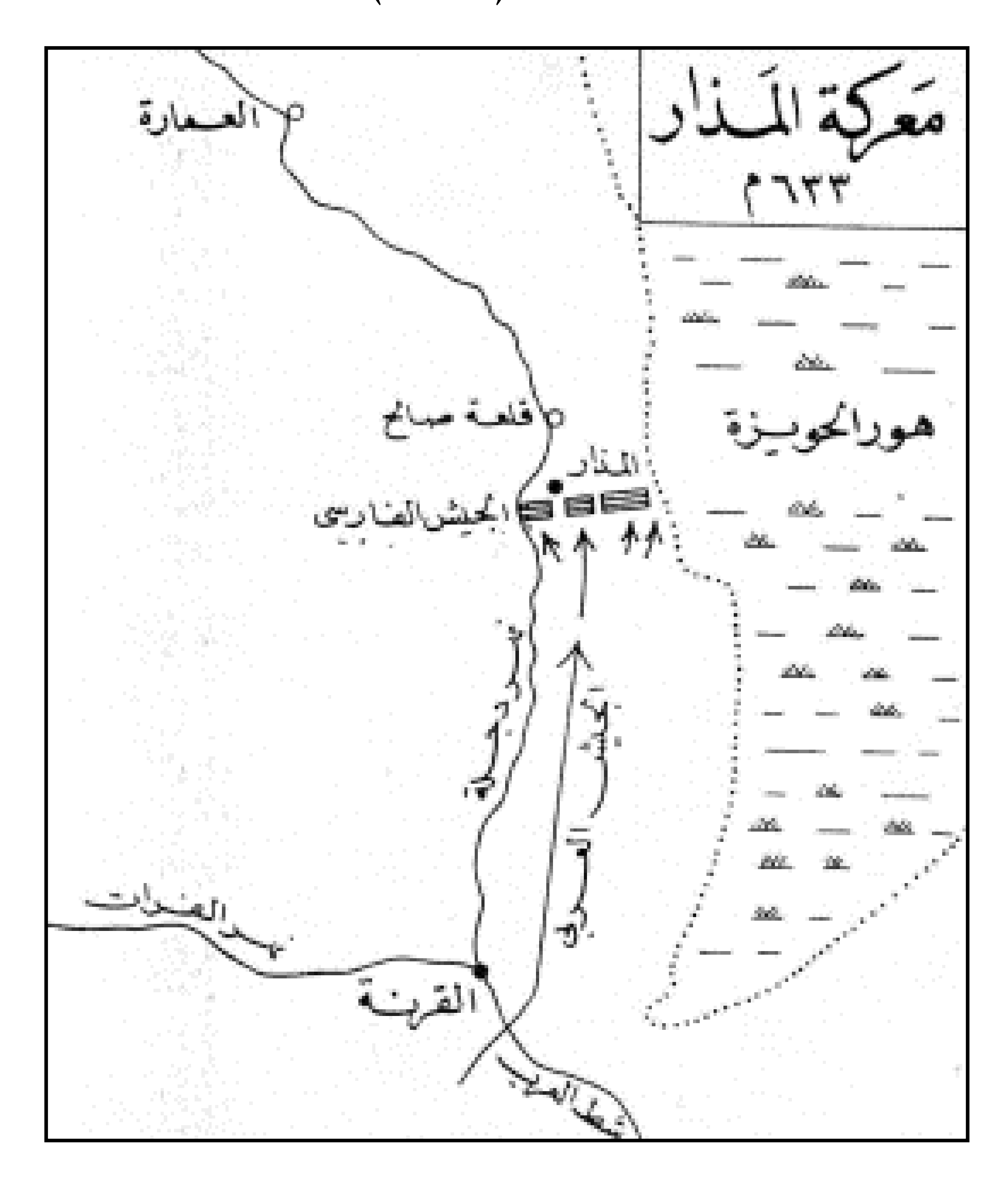
---

(1) المذار: هي قصبة ميسان، وتقع المذار على دجلة بين واسط والبصرة، بينها وبين البصرة اربعة ايام، وتذكر الدراسات الحديثة ان المذار تقع جنوب شرق قلعة صالح تبعد عنها 8 كم، ابن رستة، الاعلاق النفسية، المجلد السابع ص322، ياقوت الحموي، معحم البلدان ج7 ص232\، صالح مهددي عماش من ذي قار الى القادسية، ص81.

(2) وتسمي العرب كل نهر ثني، الطبري، تاريخ، ج4 ص41.

(3) علاء الدين حسين مكي خماس، فن الحرب عند العرب (بيت الحكمة 1999) ، ص84؛ ياسين سويد، معارك خالد بن الوليد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر (بيروت 1973) ، ص175.

الخريطة رقم (5)
معركة المذار (اثر المياه)



استلت من كتاب (من ذي قار الى القادسية)
صالح مهدي عماش

وقد التقى القائد خالد رضي الله عنه وقواته جموع الفرس على شاطيء المذار[1]، فشن هجوما صاعقا على صفوف الفرس، لكن قوات الفرس صمدت وقاومت هجوم العرب المسلمين في بادئ الامر، لكن سرعان ما ظهرت الفوضى تدب في صفوفهم ودب الرعب في قلوبهم فانهزمت فلولهم باتجاه النهر [2].

ومن الملاحظ ان الفرس قد احسوا بخطر النهر اذا ما حدثت الهزيمة لذا نجدهم قد اعدوا القوارب التي تنقلهم الى الضفة الثانية ويذكر ذلك الطبري بقوله "فضموا السفن ومنعت المياه المسلمين من طلبهم...."[3] ، ولولا هذه القوارب لما نجا احد من جنود الفرس.

ويبدو ان الماء قد حال بين المسلمين وجند الفرس وذلك لان المياه تقف حائلا ضد حركات الخيالة والابل هذا من جانب ومن جانب اخر ان العرب المسلمين لم يملكوا وسائل نقل لاجتياز النهر ومتابعة الفارين، وقد انتصر العرب في هذه المعركة فبلغت خسائر الفرس البشرية الى "ثلاثين الفا سوى من غرق"[4]. وهذا يؤكد حسن استغلال العرب للعوامل الطبيعية من اجل تحقيق النصر.

وفي معركة أُليس[5] سنة 12هـ / 633م والتي وقعت على ضفة نهر الخسيف[6]، تقدم القائد خالد بن الوليد رضي الله عنه بعد الانتصار الذي حققه في معركة الولجه الى أُليس

---

(1) الداقوقي، حسين علي، خالد بن الوليد وتحرير العراق، بحث مستل في مجلة الاستاذ مطبعة جامعة (بغداد 1982) ص64، عبد الوهاب النجار، الخلفاء الراشدون، ص75.

(2) أأ كرم، سيف الله خالد بن الوليد، ص226؛ ياسين سويد، معارك خالد بن الوليد ، ص176.

(3) الكلاعي، ابي الربيع سليمان بن موسى الاندلسي، الاكتفاء بما تضمنه مغازي رسول ﷺ والثلاثة الخلفاء، تحقيق، كمال الدين عز الدين علي، دار النشر (بيروت 1997) ، ج4 ص78؛ الخضري بك، محاضرات، ج1 ص185.

(4) الطبري، تاريخ، ج3 ص352؛ ابن الاثير، ج2 ص387؛ النويري، نهاية الارب، ج19، ص108.

(5) أليس: موضع في اول ارضي العراق من ناحية البادية، الحموي ياقوت، معجم البلدان ، ج1 ص198 ؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الاقطار ، ص29 –30.

(6) أأ كرم، سيف الله خالد بن الوليد ، ص284؛ علاء حسين مكي، فن الحرب عند العرب، ص109.

وفوجيء الفرس بهجوم صاعق وهم يتناولون غذائهم، ودارت المعركة بين الطرفين بعد ان حوصرت قوات الفرس بين قوات المسلمين والنهر[1]، وقد صبر الفرس على قتال العرب المسلمين، حتى وصف القائد خالد بن الوليد ﷺ ذلك بقوله "لقد قاتلت يوم مؤتة فانقطع في يدي تسعة اسياف... وما لقيت من اهل فارس قوما كأُهل أليس[2].

ولما رأى القائد خالد ﷺ صبرهم وتجلدهم، توجه بالدعاء الى ربه قائلا "اللهم ان لك علـي ان منحتنا اكتافهم، لا استبقي منهم احداً قدرنا عليه حتى اجري نهرهم بدمائهم"[3] ونظرا لخسائر الفرس الكبيرة في تلك فقد اصبحت تلك الضفة من النهر مقبرة لهم ومجرى لدمائهم وقد انتصر العرب في هذه المعركة وبلغت خسائر الفرس البشرية (سبعين الف)[4] وسميت بمعركة نهر الدم[5].

---

(1) الطبري، تأريخ ، ج3 ص366.
(2) الطبري، تأريخ، ج3 ص358؛ ابن الاثير الكامل، ج2 ص380
(3) الطبري، تأريخ، ج3 ص356.
(4) الطبري، ج3 ص358؛ النويري، نهاية الارب، ج19 ص110.
(5) الطبري ، تاريخ ، ج3 ص357.

وفي معركة فرات بادقلي سنة 12هـ، 633م تقدم القائد خالد بن الوليد ﷺ وركب النهر متجهاً نحو الحيرة[1]، مستفيدا من السفن التي استولى عليها في معركة امغيشيا[2].

تنبه حاكم الحيرة الى أثر العامل الجغرافي المتمثل في النهر اذ احسن استغلاله عسكريا واحسن خطته العسكرية بقراره بسد قناطر الفرات لكي يعيق تقدم جيش المسلمين الى الحيرة، بعد أن كلف ابنه بان يتولى عمل تلك القناطر[3].

تقدم القائد خالد بن الوليد ﷺ من امغيشيا شمالا باتجاه الحيرة، ففوجئ القائد خالد بن الوليد بان السفن قد جنحت في المياه، وقد علم خالد "ان الفرس قد فجروا الانهار فسلك الماء غير طريقه"[4].

وهذا يدلل على دقة نظر حاكم الحيرة في استخدام العامل الجغرافي في احراز النصر لجانبه فتحقق له ما أراد بإعاقة قوات المسلمين وشل حركتهم بسبب انقطاع الماء عن الجريان وتوقف السفن عن الحركة[5]، فادرك القائد خالد بن الوليد ﷺ خطة العدو وبعد التشاور مع اصحابه اتخذ قرارا سريعا لمعالجة الموقف، فسار مع كتيبة من الخيالة للسيطرة على منطقة توزيع المياه، فالتقى مع ابن حاكم الحيرة على فم العتيق[6] ودارت معركة بين الطرفين كان من نتائجها قتل ابن حاكم الحيرة مع افراد المجموعة

---

(1) الحيرة : مدينة على ثلاثة اميال من الكوفة، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج3 ص201.

(2) امغيشيا : كانت مصرا كالحيرة وكان فرات بادقلي ينتهي اليها وأُليس من مسالحها، الطبري، تأريخ، ج3، ص358.

(3) الطبري ، تاريخ، ج3؛ محمود شيت خطاب، خالد بن الوليد، المخزمي، ط2 ، 1390هـ 1970م، (بلا مكان) ص123.

(4) الطبري، تاريخ، ج3 ص359؛ ابن الاثير، الكامل ، ج2 ص390.

(5) الواموسيل، الفرات الاوسط، ترجمة د. صدقي حمديوآخرون، مراجعة د. صالح احمد العلي، وآخرون، مطبوعات المجمع العلمي العراقي (1411 – 1990) ، ص464.

(6) العتيق : هو احد انهار الفرات، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج6 ص419.

المكلفة بحراسة منطقة توزيع المياه عند المقر[1]، فاعاد خالد ﵁ الماء "وفجر الفرات وسد الانهار وسلك الماء سبيله"[2]، واصبح النهر صالحا للملاحة بعد سد القناطر وارتفاع منسوب المياه في النهر فتمكنت السفن من التقدم ورست"بين الخورنق والنجف"[3] اما حاكم الحيرة فقد قطع الفرات هاربا من غير قتال خوفا من ان يقع به ما وقع بابنه[4].

ب- معارك العبور:

تعد معارك العبور من المعارك التي تتطلب التعرف على الطبيعة الجغرافية لضفة النهر التي يتم العبور اليها كذلك يتطلب التعرف على مزايا النهر من حيث الضفاف وعرض النهر والمخاضة، واعداد القوارب ومن الأمثلة على ذلك معركة الفراض[5] 12 هـ /633 م، إذ كان للقائد خالد بن الوليد ﵁ دور فيها عندما رفض العبور الى الجهة الشرقية لنهر الفرات الذي يحول بين قوات المسلمين وقوات الفرس والروم[6]. وعند منطقة الاستقاء (الشريعة) خيّر الفرس القائد خالد بن الوليد ﵁ بقولهم "اما ان تعبروا الينا واما ان نعبر اليكم فقال خالد: بل اعبروا الينا"[7] قالوا : "فتنحّوا حتى نعبر"[8] لكن خالد لم يستجب لطلبهم وذلك لان المكان الذي نزل عليه تم اختياره من قبله لكونه يعطي لقواته حرية في

(1) المقر : موقع قرب فرات بادقلي من ناحية البر من جهة الحيرة، ياقوت الحموي ، معجم البلدان، ج8 ص301.

(2) الطبري، تاريخ، ج3، ص359.

(3) الطبري ، تأريخ، ج3 ص359؛ صالح مهدي عماش، من ذي قار الى القادسية ، ص87.

(4) عبد الوهاب النجار، الخلفاء الراشدون، ص78.

(5) الفراض : منطقة على تخوم العراق والشام، والجزيرة، والفراض فوهة النهر، والفرضة، بالضم من النهر ثلمة يستقي منها ، الطبري، تاريخ، ج3 ص384؛ ابن الاثير ، ج2 ص399 ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان ، ج6 ص421؛ الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج2 ص352.

(6) الطبري، تاريخ، ج3 ص383.

(7) الطبري، تاريخ، ج3 ص383؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج6 ص356.

(8) الطبري، تاريخ، ج3 ص383.

المنـاورة والهجـوم علـى الاعـداء واراد ان تكـون الصـحراء خلـف ظهـره[1] وقـال "اعبـروا اسفل منا"[2]، فعبروا أسفل منهم.

فبدأت المعركة بشكل سريع وعنيف جدا وبدأت بوادر النصر تلوح في الأفق لصالح المسلمين حـين اصـدر القائـد خالـد ﷺ امـرا الـى جنـده وقـال "ألحّـوا علـيهم ولا ترفهـوا عنهم"[3] وهو بذلك يريد ادامـة الزخم ومواصـلة الهجـوم حتـى ينهـار العـدو وبذلك حقق نصرا ساحقا علـى الاعداء بفضـل اختيـاره ارض المعركـة، دون اختيـار العبـور لمـا فيـه من آثار سلبية علـى نتيجـة المعركـة. وقد بلغت خسائر الفرس والروم "اكثـر مـن مائـة الف"[4] في هذه المعركة.

وفي معركة الجسر[5] سنة 13 هـ، 634 م، سار ابو عبيد الثقفي ﷺ بعد ان حقق نصرا على الفرس في عدة معارك[6]، حتى نزل المروحة[7] وعسكر بها اما الفرس فقد نزلوا قس الناطف[8] واصبح الفرات حائلاً دون التقاء الطرفين[9].

فارسـل الفـرس الـى القائـد ابـي عبيـد الثقفـي يخيرونـه بقـولهم: "امـا ان تعبـروا الينـا ونـدعكم والعبـور وامـا ان تـدعونا نعبـر اليكم"[10]، استشـار القائـد ابـو عبيـد لثقفـي القـادة الميدانيين بقصـد العبـور فقـالوا لـه "لا تعبـر يـا ابـا عبيـد، ننهـاك عـن العبـور قـل لهـم

(1)علاء الدين حسين مكي خماس، فن الحرب عند العرب ، ص144.

(2) الطبري، تاريخ، ج3 ص383؛ ابن الاثير ، الكامل ، ص399.

(3) الطبري، تاريخ، ج3 ص384.

(4) تاريخ، ج3 ص384 ؛ ابن الاثير، الكامل ج6 ص356؛ النوريري، نهاية الارب، ج19 ص116.

(5) الجسر: قرب الحيرة والذي كانت فيه الوقعة بين المسلمين والفرس، الحموي، ياقوت ج3، ص58.

(6) اليعقوبي، أحمد بن ابي يعقوب بن واضح ،تأريخ اليعقوبي، مط الحيدرية (النجف 1964)، ج2 ص132 ؛ الطبري، تاريخ، معركة النمارق والسقاطية، ص446 –450.

(7) المروحة : موضع بشاطيء الفرات الغربي، المصدر نفسه، ج7 ص50.

(8) قس الناطق:موضع قريب من الكوفة على شاطيء الغربي،ياقوت الحموي،معجم البلدان،ج7ص50

(9) الطبري،تاريخ،ج3 ص454؛الكلاعي،الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول اللهﷺ،،ج4 ص125.

(10) الطبري، تاريخ ، ج3 ص454.

فليعبروا"[1]، وكان من اشد المعارضين لعملية العبور الصحابي الجليل سليط بن قيس رضي الله عنه[2] ولعل سبب ذلك ان المكان الذي نزل فيه العرب يعطي للمسلمين حرية في الهجوم والانسحاب وقال له سليط بن قيس "ان العرب لم تلق مثل جنود فارس منذ كانوا، وانهم قد حفلوا لنا[3]، واستقبلونا من الزهاء والعدة بما لم يلقنا به احد منهم، وقد نزلت منزلا لنا فيه مجالاً وملجأً ومرجعاً، من فر الى كر"[4]، وعلى الرغم من تلك المداولة مع قواده ، ترك القائد أبو عبيد الثقفي الرأي وامر قواته بالعبور الى الضفة الشرقية لنهر الفرات.

ويذكر البلاذري ان هناك جسرا مقطوعا أصلحه ابي عبيد "ثم عبر ابو عبيد والمسلمون من المروحة على الجسر فلقوا ذا الحاجب..."[5].

ويبدو ان المكان الذي نزل فيه ابو عبيد ضيقا ليس فيه مخرج ولا مدخل[6] فقد حوصرت قوات المسلمين على ارض ذات مساحة قليلة بين نهر الفرات من الخلف وقوات الفرس من الامام، فافقدهم ذلك في بداية المنازلة اهم مبادئ الحرب وهي عملية الكر والفر، وفضلاً عن ذلك ان قوات المسلمين إذا منيت بالهزيمة لا تستطيع الانسحاب بسبب المانع المائي.

وفي اثناء العبور شن الفرس هجوما على قوات المسلمين تتقدمه الفيلة فدارت معركة عنيفة تساقط القتلى فيها من كلا الجانبين[7] ، ان خسارة المسلمين في هذه

---

(1) الطبري، تاريخ ، ج3 ص454؛ ابن الاثير، الكامل، ج2 ص438؛ النويري، نهاية الارب،ج9 ص183

(2) سليط بن قيس بن عمر بن عبيد بن مالك بن عدي بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار الانصاري الخزرجي، شهد بدر وما بعدها من المشاهد ، استشهد يوم الجسر مع ابي عبيد الثقفي ، ابن الاثير: اسد الغابة، ج2، ص441.

(3) حفلوا لنا: جتمعوا، الفيروز آبادي، القاموس ، ج3 ص369.

(4) الطبري، تاريخ، ج3 ص456؛ الكلاعي الاكتفاء مما تضمنه مغازي رسول الله ﷺ ، ج4 ص125

(5) فتوح البلدان، ج2 ص308 ؛ ابن اعثم ج1 ص168.

(6) فارس حسن شاكر، عمر بن الخطاب، المكتبة المدنية، (بغداد 1989)، ص29

(7) محمود شيت خطاب، قادة فتح العراق والجزيرة، دار القلم القاهر، (بلا ت)، ص217.

المعركــة يعــود الــى عــدم اســتغلال العبــور لصــالح المســلمين والــذي كــان عليــه رأي الجماعة، فادى عبور المسلمين الى خسارتهم في هذه المعركة[1].

وعلى اثر معركة الجسر ارسل الخليفة عمر بن الخطابﷺ القائد جرير بن عبد الله البجلي[2] ومعه قبيلة بجيلة الى العراق[3]، ويذكر المسعودي ان القائد جرير بن عبد الله ﷺ قاتل مرزبان المدائن وعندما وصل الى نهر دجلة طلب اصحابه العبور فقالوا "اعبر الدجيلة الى المدائن، فقال : جرير هذا ليس بالرأي، وقد مضى لكم في ذلك عبره بمن قتل من اخوانكم يوم الجسر، ولكن امهلوا القوم حتى يعبروا اليكم فان فعلوا فهو الظفر ان شاء الله[4]. فامهل القوم حتى اذا عبر النصف، باشرهم بهجوم كان من نتائجه قتل مرزبان المدائن وغرق اكثر جيش الفرس في نهر دجلة[5] .

وبذلك يكون العبور ذا أثر سلبي في المعركة سواءً في صف المسلمين أم في صف المشركين الفرس.

وفي معركة البويب 13هـ / 634هـ بعد النصر الذي حققه الفرس في معركة الجسر ارادوا طرد العرب المسلمين من العراق، واعدوا لهذا الغرض جيشا فارسيا بقيادة مهران الذي خرج من المدائن يريد الحيرة[6]. فعلم المثنى بتحركات الفرس ونواياهم فارسل إلى

---

(1) قيس عبد العزيز مهدي، معركة نهاوند (فتح الفتوح) واثرها في انهاء الحكم الساساني، رسالة ماجستير مقدمة الى مجلس كلية التربية (ابن رشد) / جامعة بغداد 1421هـ – 2000م ص18.

(2) جرير بن عبد الله البجلي، اسلم قبل وفاة الرسولﷺ كان حسن الصورة قال عنه عمر بن الخطاب ﷺ (جرير يوسف هذه الامة) وهو سيد قومه ، وقال عنه النبيﷺ لما دخل عليه جرير فاكرمه وقال (اتاكم كريم قوم فاكرموه) ، ارسله الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ إلى العراق بعد مصاب اهل الجسر ، اشترك في معركة القادسية، اقام جرير في الكوفة ومات في قرقيسيا وقيل مات بالسراة ، ابن الاثير: ساد الغابة، ج1، ص332–333.

(3) البلاذري، فتوح البلدان، ج2 ص310 ؛ ابن أعثم، الفتوح، ج1 ص171.

(4) المسعودي، ابو الحسن على بن الحسين، مروج الذهب ومعاد الجوهر، تحقيق الشيخ قاسم، دار القلم بيروت لبنان 1408 هـ – 1986 م، ج1 ص319.

(5) المسعودي، مروج الذهب، ج2 ص319.

(6) الطبري، تاريخ، ص461، النويري، نهاية الارب، ج19 ص185.

الخليفة عمر الخطاب رضي الله عنه يعلمه بذلك ويطلب المدد لينضموا إليه عند البويب حيث قال "فعجلوا اللحاق بنا وموعدكم البويب[1]"[2].

وتقدم مهران ونزل في مكان يقال له بسوسيا[3] على جانب الفرات الشرقي، ونزل المثنى بن حارثة والمسلمون على البويب مما يلي الكوفة والفرات يحجز بين الفريقين[4].

وفي هذه الوقعة خاطب قائد الفرس، قائد جيش المسلمين يطلب منه احد أمرين قائلا "اما ان تعبروا الينا واما ان نعبر اليكم"[5] فكان جواب المثنى بقوله اذا شاء العبور فليعبر [6].

وقد اعتبر المثنى من الخطأ الذي وقع فيه ابو عبيد الثقفي في معركة الجسر بعبور نهر الفرات[7]، وبذلك طبق المثنى وصية الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى قواد المسلمين "الا يعبروا بحرا ولا جسرا الا بعد ظفر"[8] .

ويذكر البلاذري "ان المسلمين امهلوا مهران حتى عبر الجسر"[9] وكانت قوات الفرس معبئة في ثلاثة صفوف "فنزلوا شوميا[10] ولهم زجل[11] "[12] وذلك للتأثير على معنويات المسلمين.

---

(1) البويب : نهر كان بالعراق موضع الكوفة، الحموي ياقوت معجم البلدان ج2 ص403.
الحميري، الروض المعطار في خبر الاقطار، ص116.

(2) الطبري، تاريخ ص461، ابن الاثير، الكامل ج2 ص442، الكلاعي، الاكتفاء بما تضمنه مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم ج4 ص139

(3) بسوسيا : موقع قرب الكوفة، الحموي ياقوت، معجم البلدان، ج2 ص334.

(4) الطبري، ج3 ص463.

(5) الطبري، تاريخ، ج3 ص461، ابن الاثير ج2 ص442.

(6) الطبري، تاريخ، ج3 ص463.

(7) فارس حسن شاكر، عمر بن الخطاب، المكتبة المدنية (بغداد بلا ت) ص31 .

(8) الطبري تاريخ، ج3 ص463.

التحم الجانبان في معركة دامية كان الفرس يريدون الاحتفاظ بالنصر الذي حققوه في معركة الجسر والاحتفاظ بالارض التي سيطروا عليها اما العرب المسلمون فكانوا يريدون الثار لشهداء المسلمين ونشر الدين الاسلامي وتحرير الارض العربية من سيطرة الفرس وقد تواصلت المعركة بين الطرفين حتى استطاع المثنى أن يهاجم قلب العدو وقتل مهران، مما ادى الى اضطراب صفوف الفرس والتراجع الى الخلف باتجاه النهر طلبا للنجاة، لكن المثنى قطع عليهم خط الرجعة عندما سبقهم إلى الجسر وحصرهم بينه وبين قواته واوقع فيهم السيف من الامام والخلف[1]. ينظر الخريطة رقم (6).

---

(9) البلاذري، ج2 ص311.

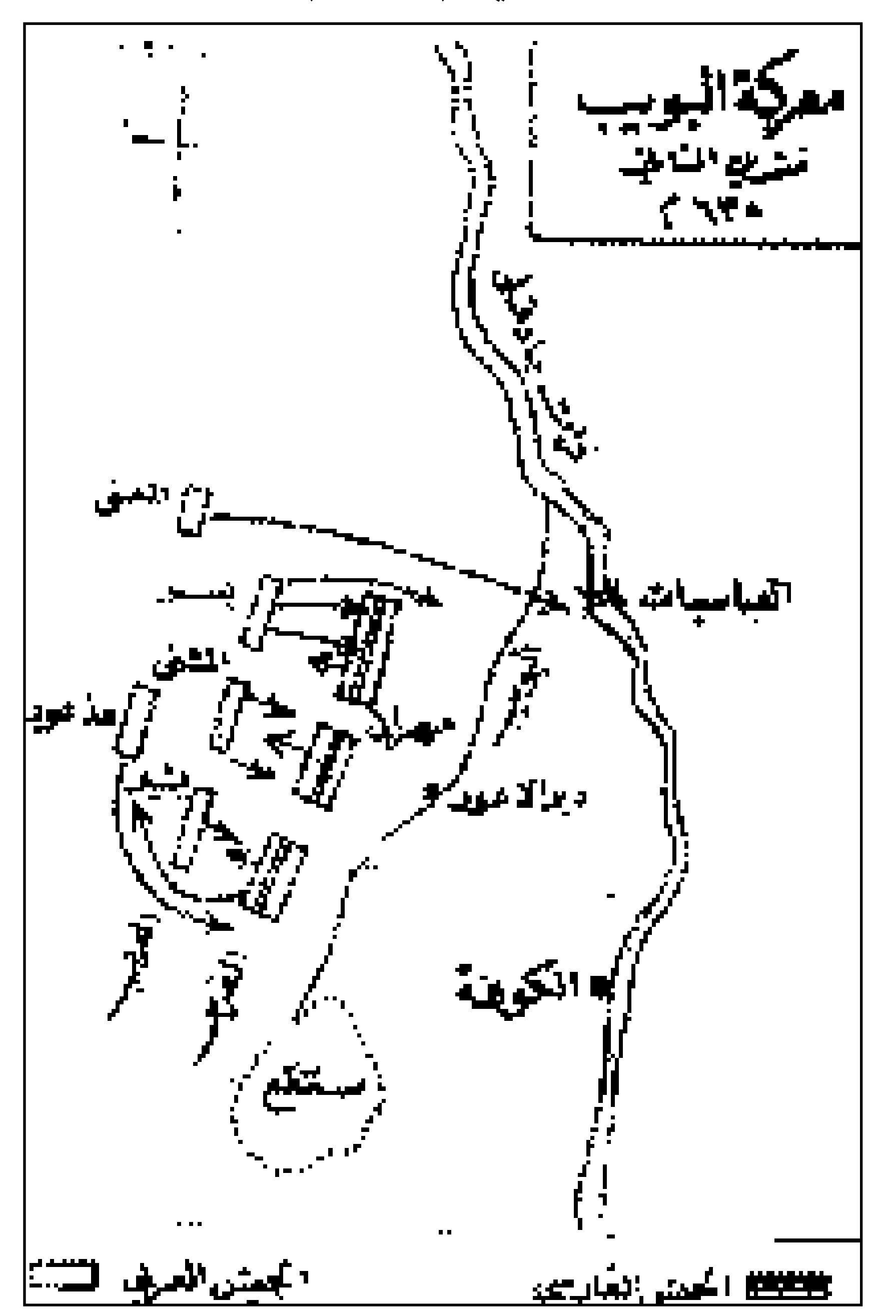
(10) شوميا، موضع في بقعة الكوفة نزل فيه مهران لمحاربة المسلمين، الحموي ياقوت، معجم البلدان ج5 ص164.

(11) زجل : الصوت، الفيروز آبادي، القاموس، ج3 ص399

(12) الطبري، ج3 ص461.

(1) محمود الدرة، تاريخ العرب العسكري، ص345 ؛ عبد الحميد حسين، الفتح الاسلامي في العراق والجزيرة، مطبعة عفيف – بغداد 1958 – 1961، ص28.

الخريطة رقم (6)
معركة البويب (اثر المياه)



استلت من كتاب (من ذي قار الى القادسية)
صالح مهدي عماش

ويذكر الطبري ندم المثنى لمسابقته اياهم الى الجسر فقال "عجزت عجزةً وقى الله شرها بمسابقتي اياهم الى الجسر وقطعه؛ حتى احرجتهم... فلا تعودوا ولا تقتدوا بي ايها الناس، فانها كانت زلة لا ينبغي احراج احد الا من لا يقوى على امتناع"[1].

لقد كان لنهر الفرات في هذه المعركة دور بارز تمثل في الإيقاع بالعدو في أثناء العبور.

وروى الطبري بسنده عن عرفجة بن هرثمة البارقي[2] الذي كان شاهد عيان للمعركة اذ قال "حزنا كتيبة منهم الى الفرات، ورجوت ان يكون الله تعالى قد اذن في غرقهم وسلى عنا بها مصيبة الجسر، فلما دخلوا في حد الاحراج كروا علينا، فقاتلناهم قتالا شديدا... فولوا نحو الفرات، فما بلغه منهم احد فيه الروح"[3].

ويبدو من ذلك ان مواصفات الضفة الغربية لنهر الفرات تشبه ما الفه المسلمون في معاركهم التي حدثت على اطراف الصحراء لقلة قنوات الري والزراعة اما الضفة الشرقية فكانت على العكس من ذلك إذ لو اراد المسلمون العبور اليها لكان النصر حليف الفرس.

وفي معركة القادسية[4] سنة 15هـ/635م كان لمياه نهر العتيق اثر سلبي على جيش الفرس، وبعد ان فشلت المفاوضات باصرار الفرس لقتال العرب "أرسل سعد إلى الناس ان يقفوا مواقفهم"[5]، وان يتمسكوا بمواقعهم العسكرية تنفيذاً لأمر القيادة العليا

---

(1) الطبري تاريخ، ج3 ص468 – 469؛ الكلاعي، الاكتفاء بما تضمنه مغازي رسول الله ﷺ، ج4 ص145.

(2) عرفجة بن هرثمة البارقي، احد امراء الفتوح ، استعمله ابو بكر الصديق ﷺ في حروب الردة واستعمل عمر بن الخطاب في فتوح العراق لمساعدة عتبة بن غزوان، ابن الاثير ، اسد الغابة ، ج4 ص23، ابن حجر الاصابة ، ج4 ص23.

(3) تاريخ، ج3 ص468.

(4) القادسية : مدينة ذات نخل ومياه تقع على حافة سواد العراق وتحدها البادية من الغرب والاشجار والنخيل من جهة الشرق وتبعد عن الكوفة خمسة عشر فرسخاً والفرسخ يساوي ثلاثة اميال وعن العذيب اربعة اميال، ابو الفداء، تقويم البلدان؛ المقدسي ، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ص105؛ ياقوت الحموي معجم البلدان ، ج3 ص7 .

(5) الطبري، تاريخ ، ج3 ص529؛ النويري ، نهاية الارب ، ج19 ص200.

سامحين للفرس بالعبور لجرهم إلى المنطقة التي اختارها العرب لتكون ميداناً للمنازلة "فأرسل اليهم سعد ﷺ وقال شأنكم والعبور فأرادوا القنطرة"، التي سيطر عليها العرب باعتبارها ممراً حيوياً مهماً رافضين السماح للجيش الفارسي لاجتيازها قائلين "لا ولا كرامة أما شيء قد غلبناكم عليه فلن نرده عليكم تكلفوا معبراً غير القناطر"[1]، وبذلك وضع سعد بن ابي وقاص ﷺ القوات الفارسية أمام محنة جديدة وهي اختيار منطقة لعبور هذه الأعداد الهائلة من جيوش الفرس مع كامل معداتهم الحربية ، فلم يجد رستم مجالاً سوى ان يختار منطقة أخرى للعبور ، فأمر "بسكر العتيق بحيال قادس... فباتوا ليلتهم حتى الصباح يسكرون العتيق بالتراب والقصب والبراذع حتى جعلوه طريقاً، واستتم بعد ما ارتفع النهار من الغد"[2].

وبذلك استطاع القائد سعد بن ابي وقاص ﷺ ان يرهق جيش الفرس في عمل شاق يتطلب جهداً عضلياً كبيراً ليلة كاملة لايجاد طريق لعبور القوات الفارسية إلى الضفة الغربية لنهر العتيق لملاقاة الجيش العربي الاسلامي، ولهذا العمل دور كبير في اضعاف الجانب المعنوي لدى القوات الفارسية وانهاك قواها التي استنفذها العبور وقد وصف الطبري عملية العبور بقوله "فعبر الفرس باثقالهم حتى نزلوا على ضفة العتيق"[3]، في الوقت الذي كانت فيه القوات العربية في معنويات عالية وراحة تامة استعداداً للمعركة الفاصلة.

وبعد أن عبرت القوات الفارسية إلى الضفة الغربية من نهر العتيق اصبحت وجهاً لوجه مع الجيش العربي الاسلامي فكانت "صفوفهم على شفير العتيق"[4]، أما مواقع

---

(1) الطبري، تاريخ ، ج3 ص529؛ ابن الاثير ، الكامل ، ج2 ص323.

(2)الطبري، تاريخ ، ج3 ص529؛ النويري، نهاية الارب ،ج19 ص202.

(3)الطبري، تاريخ ، ج3 ص529؛ المقدسي ، مطهر بن طاهر ، البدء والتاريخ ، ج5 ص373.

(4) الطبري، تاريخ، ج3 ص535؛ ابن الأثير، الكامل، ج2 ص325؛ النويري، نهاية الارب ، ج19 ص204.

جيش المسلمين فكان "صف المسلمين مع حائط قديس والخندق من ورائهم"[1]، وبذلك أصبح ميدان المعركة محصوراً بين الخندق والعتيق[2].

وبهذا الموقع أصبحت القوات الفارسية محصورة بين العتيق من الخلف والمعسكر الإسلامي من الأمام ، فهي غير قادرة على القيام بأية مناورة لضيق الأرض التي تعسكر عليها، وفي الوقت نفسه اصبحت عاجزة عن الانسحاب المنظم اذا ما تعرضت لضغط القوات العربية بسبب المانع المائي الموجود خلفها وهو نهر العتيق.

وفي هذا المكان دارت معركة القادسية التي استمرت اربعة ايام وكان من نتائجها انتصار العرب المسلمين في هذه المعركة وقتل قائد الفرس رستم، وقد بلغت خسائر الاعداء البشرية بسبب القتل والغرق ثلاثين ألف[3].

وبعد الانتصار الذي حققه العرب في معركة القادسية تتبع القائد سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه فلول الفرس امام قوات المسلمين، حيث خاض معهم عدد من المعارك، حتى انتهى الى المدائن[4]، وكان ذلك بامر الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما كتب الى سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه اثناء معركة القادسية وقال "فان منحك الله ادبارهم فلا تنزع عنهم حتى تقتحم عليهم المدائن فانه خرابها ان شاء الله"[5]

وقد نفذ القائد سعد رضي الله عنه امر الخليفة وامر قواته باستثمار الفوز ورصد تحركات الفرس،

---

(1) الطبري، تاريخ، ج3 ص535؛ ابن الأثير، الكامل، ج2 ص325؛ النويري، نهاية الارب ، ج19 ص204.

(2) الطبري، تاريخ ، ج3 ص535؛ ابن الأثير، الكامل، ج2 ص325.

(3) الطبري، تاريخ ، ج3 ص564؛ ابن الأثير، الكامل، ج2 ص470.

(4) المدائن : تعني بالفارسية توسفون وعربوه إلى الطيسفون وهي سبع مدائن بناها الاكاسرة على طرف دجلة، ياقوت الحموي، معجم البلدان ، ج7 ص221 – 222؛ القزويني، آثار البلاد واخبار العباد ص453.

(5) الطبري، تاريخ، ج3 ص492.

ولقائهم في بيرس وكوثي وبهر سير وحقق النصر عليهم وكانت هذه الوقعات سنة 15هـ[1].

وفي سنة 16هـ / 636م دخلت القوات العربية الإسلامية بهرسير[2] "واقام سعد ﷺ بها ثلاثة ايام وخرج إلى الشط واراد ان يعبر بالناس إلى المدينة القصوى اسبانير فلم يجدوا شيئاً من السفن فاقام اياماً من شهر صفر"[3]، وقد ذكر البلاذري بقوله "لما انتهى المسلمون إلى دجلة وهي تطفح بما لم يرَ مثله قط واذا الفرس قد رفعوا السفن والمعابر إلى الجيزة الشرقية وحرقوا الجسر فأغتم سعد والمسلمون اذ لم يجدوا إلى العبور سبيلاً"[4]، لان الفرس "قد ضموا السفن فيما بين البطائح وتكريت"[5].

بدأ القائد سعد بن ابي وقاص ﷺ يفكر ويخطط لعملية العبور "والناس يحرضونه على العبور إلى ذلك الجانب وهو يأبى اشفاقاً على المسلمين"[6] وقد ذكر ابن اعثم الحوار الذي دار بين سعد ﷺ والمقاتلة عندما طلب من المقاتلة النزول عند ضفة النهر حتى يتم بناء جسر للعبور وقال "ايها المسلمون انزلوا الآن هاهنا حتى نعقد جسراً ونعبر" فأجابه بعض المقاتلة قائلاً "ايها الامير ان الذي حملنا في البر هو قادر ان يحملنا في البحر، فقال سعدﷺ صدقت ايها الرجل ولكن الماء في منتهى الزيادة

---

(1) ابن الاثير، الكامل، ج2 ص507.

(2) بهرسير: وهي المدائن السبع التي سميت المدائن، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2 ص405.

(3) الواقدي ، فتوح الشام، ج2 ص199.

(4) البلاذري، فتوح البلدان ، ج2 ص323.

(5) الطبري، تاريخ ، ج4 ص8.

(6) الواقدي ، فتوح الشام ، ج2 ص199؛ الطبري ، تاريخ، ج4 ص9؛ ابن الأثير ، ج2 ص356؛ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد ، تأريخ ابن خلدون ، المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، (بيروت 1391هـ-1971م)، ج4 ص137.

على ما ترى فقال له الرجل انا اقتحم ايها الامير هذه الدجلة بفرسي واثقا بربي وفعل"(1).

وفي النهاية اقر سعد ﷺ عبور نهر دجلة فجمع الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال "ان عدوكم قد اعتصم منكم بهذا البحر، فلا تخلصون اليه معه، وهم يخلصون اليكم ان شاءوا فيناوشونكم في سفنهم، وليس وراءكم شيء تخافون ان تؤتوا منه... الا اني قد عزمت على قطع هذا البحر اليهم فقالوا جميعا : عزم الله لنا ولك على الرشد، فافعل"(2).

استجاب المقاتلون لنداء سعد ﷺ ، وكان اول عمل قام به سعد السيطرة على الضفة الشرقية وقال "من يحمي لنا الفراض حتى تتلاحق به الناس لكيلا يمنعوهم من الخروج"(3)

فكان اول المتطوعين عاصم بن عمرو(4) قائد كتيبة الاهوال، وتطوع معه ستمائة رجل لاقتحام نهر دجلة الذي كان في اوج فيضانه(5)، وكان من اجراءات عاصم بن عمرو ان يؤمن الضفة المقابلة لكي يضمن سلامة عبور قوات المسلمين نهر دجلة اذ قال"من ينتدب معي لنمنع الفراض من عدوكم ولنحميكم حتى تعبروا؟ فانتدب معه ستون"(6) وكان من اجراءات عاصم بن عمرو ان قسم الخيل ذكورا واناثا لتكون اساسا لعوم الخيل ولم يغفل الاعداء خطط القادة المسلمين إذ كانوا يترقبون ذلك بقلق

---

(1) ابن اعثم ، الفتوح ، ج1 ص213.

(2) الطبري، تاريخ ، ج4 ص9؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج7 ص65 – 66، كمال، احمد عادل استراتيجية الفتوحات الاسلامية، سقوط المدائن ونهاية الدولة الساسانية، ص37.

(3) الطبري ، تاريخ ، ج4 ص9، ابن الاثير، الكامل ج2 ص512، النويري، نهاية الارب، ج19 ص224.

(4) عاصم بن عمرو التميمي، من الشعراء الفرسان اشترك في فتوح العراق له فيها اشعار كثيرة شارك مع اخيه القعقاع في معركة القادسية فابلو بلاءا حسنا، الذهبي: تجريد اسماء الصحابة، ج1، ص281. ابن حجر ، الاصابة ج2 ص247.

(5) البلاذري، ج2 ص323.

(6) الطبري، تاريخ، ج4 ص9.

شديد فلما بدأت طليعة عاصم بن عمر بالعبور "ورآهم الأعاجم وما صنعوا اعدوا للخيل التي تقدمت سعد مثلها ، فاقتحموا عليهم فاعاموها عليهم فلقوا عاصماً في السرعان وقد دنا من الفراض"(1)فاصدر عاصماً امراً إلى قواته قائلاً "الرماح الرماح اشرعوها وتوخوا العيون(2)، فالتقوا فاطعنوا وتوخى المسلمون عيونهم فولوا نحو الجد والمسلمون يشمصون بهم خيلهم ما يملك رجالها منع ذلك منها شيئاً"(3).

بعد هذه المعركة السريعة تراجعت خيل الفرس مولية الأدبار ، ويذكر الواقدي ذلك بقوله "فلما رأت الفرس ثبات العرب في الماء كثباتهم في الأرض للطعن والضرب ولوا الادبار والمسلمون في آثارهم فقتلوا عامتهم وما نجا إلى الشط الا القليل وملك المسلمون جانب الشط من جهة الفرس"(4)، ثم تلاحق باقي الستمائة متطوع بأوائل الستين ، ولما رأى سعد ﷺ ان عاصم بن عمرو امن الضفة الشرقية لنهر دجلة اذن للناس في اقتحام نهر دجلة وطلب منهم ان ينطقوا بالدعاء"قولوا نستعين بالله، ونتوكل عليه حسبنا الله ونعم الوكيل لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم"(5).

واستعد الجند لعبور النهر الذي كان في اوج فيضانه حيث وصف الطبري ذلك بقوله "فتلاحق عظم الجند، فركبوا اللجة، وان دجلة لترمي بالزبد وانها لمسوده،... ففجئوا اهل فارس بامر لم يكن في حسابهم"(6) ويستمر الطبري في وصف عملية العبور حيث يقول"طبقنا دجلة خيلا ورجلا ودواب حتى ما يرى الماء من الشاطيء احد، فخرجت بنا خيلنا تنفض اعرافها لها صهيل. فلما رأى القوم ذلك انطلقوا لا يلوون على شيء"(7) ويبدو مما تقدم ان العرب المسلمين اتخذوا الخيول بمثابة زوارق نهرية

---

(1) الطبري، تاريخ، ج4 ص9.

(2) ابن الاثير، الكامل، ج2 ص512.

(3) الواقدي، فتوح الشام ، ج2 ص200 ؛ الطبري، تاريخ، ج4 ص9-10.

(4) الواقدي، فتوح الشام ، ج2 ص200

(5) الطبري، تاريخ، ج2 ص10، النويري، نهاية الادب، ج19 ص225.

(6) تاريخ ، ج2 ص10 –11.

(7) تاريخ ، ج4 ص10 –11.

في اول عملية عبور في التاريخ فهاجموا العدو في امنع مناطق حمايته، على الرغم من شدة فيضان النهر الذي يعزز من مناعة المدينة، بعد ان نقل الفرس السفن والمعابر الى الضفة الشرقية، ويذكر ابن خياط ان عملية العبور كانت في اتجاهين احدهما من فوق المدائن والاخر من اسفلها[1] وبذلك حقق العرب المسلمون مباغتة اعدائهم والهجوم عليهم من اكثر من جانب من اجل تشتيت قواهم وتحقيق النصر عليهم[2]. ينظر الخريطة رقم (7).

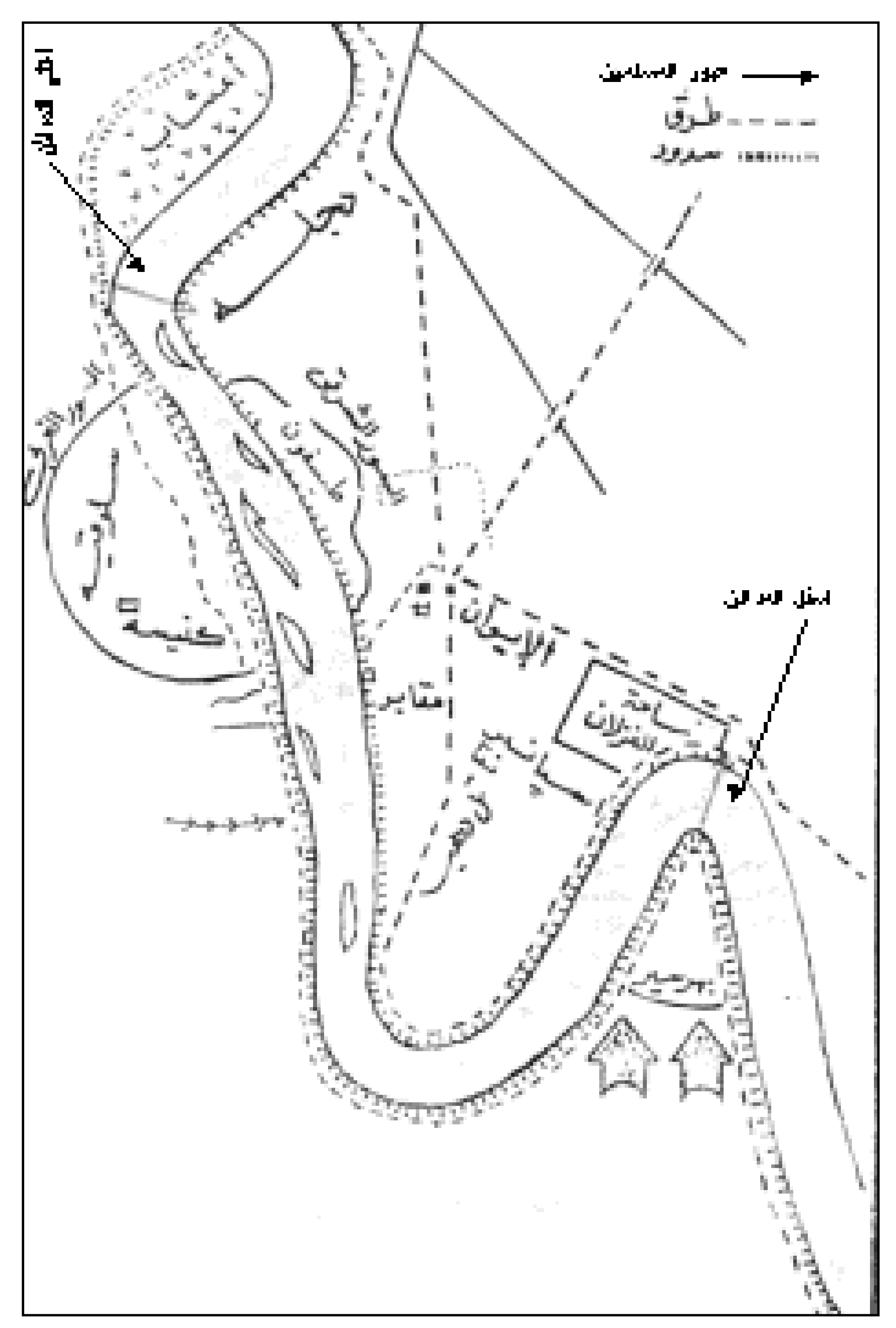
---

(1) تاريخ خليفة بن خياط،ج1ص104.

(2) ايوب عبد الحميد مخيلف، معركة القادسية واثرها في تحرير العراق 15هـ – 636م، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية التربية (ابن رشد) جامعة بغداد ، 1410هـ-1989م، ص178.

الخريطة رقم (7)

دخول المدائن



استلت من كتاب سقوط المدائن

احمد علي الكمال

ويذكر البلاذري انه عندما اراد سعد العبور إلى الجانب الشرقي من المدائن "ولم يجد معابر فدل على مخاضة عند قرية الصيادين ، فاخاضوها الخيل"(1) اما الطبري فيذكر ان سعدا "اقام في بهرسير اياما من صفر يريدونه على العبور فيمنعه الابقاء على المسلمين ، حتى اتاه اعلاج فدلوه على مخاضة تخاض الى صلب الوادي"(2) ، ومن المعروف ان مناسيب دجلة والفرات ترتفع في فصل الشتاء والربيع بسبب سقوط الامطار وذوبان الثلوج في اواخر الربيع على قمم الجبال ، اما في فصل الصيف فيقل منسوب نهري دجلة والفرات حتى تظهر عليه الجزر في بعض مناطق مجاريه حتى يستطيع الفرد عبور نهر دجلة او الفرات من بعض مناطقه مخاضة اما في وقت الفيضان فتنعدم اهمية المخاضة بسبب ارتفاع منسوب مياه النهر، والدليل على ذلك ان عملية العبور في بدايتها اقتصر على الفرسان دون المشاة .

(1) فتوح البلدان ، ج2 ص323.

(2) تاريخ ج4 ص9 ؛ ابن الاثير ، الكامل ج2 ص511

المبحـث الثـالـث

أثـــر التضــاريــس

1 ـ الصحــراء:

قاتل العرب على اطراف الصحراء وذلك جريا على المبدأ العسكري السائد عند العرب "اعط ظهرك للصحراء تسلم[1] ويظهر هذا في عدد من المعارك التي خاضها العرب المسلمون ضد اعدائهم الفرس ومن هذه المعارك معركة ذات السلاسل[2] سنة 12هـ/633م ومعركة الفراض[3] 12هـ/633 م ومعركة البويب[4] سنة 13هـ/634م فنجد ان هذه المعارك قد وقعت على اطراف الصحراء فكان النصر حليف المسلمين.

وفي سنة 14 هـ / 635م كتب المثنى بن حارثة الشيباني ﷺ الى الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ يعلمه بتحشد الفرس في المدائن لقتال المسلمين ، فاجابه الخليفة بقوله "تنح الى البر وادع من يليك واقم منهم قريبا على حدود ارضك وارضهم حتى يأتيك امري"[5].

وكتب المثنى بن حارثة الشيباني ﷺ الى القائد سعد بن ابي وقاص ﷺ وهو بزرود يوصيه ان يقاتل اهل فارس "على حدود ارضهم على ادنى حجر من ارض

---

(1) طه عثمان الفراء ، جغرافية معركة اليرموك ، بحث مستل في مجلة الدارة ، العدد الثالث ، ديسمبر 1984؛ ص27.

(2) الطبري ، تاريخ ، ج3 ص348– 349 ؛ محمود الدرة، تاريخ العربي العسكري،ص308– 309.

(3) ابن الاثير ، الكامل، ج2ص385–384؛ صالح مهدي عماش،من ذي قار الى القادسية ص78 – 79.

(4) النويري ، نهاية الادب ، ج19 ص108 ؛ الملاح ، هاشم يحيى ، الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة ، ص354؛ النجار ، عبد الوهاب ، الخلفاء الراشدون ، ص122 – 123.

(5) الطبري ، تاريخ ، ج3 ص482؛ قدامة بن جعفر ، الخراج وصناعة الكتابة ، شرح وتعليق الدكتور محمد حسين الزبيدي دار الرشيد 1981 ص358، ياسيين سويد ، الفن العسكري الاسلامي في اصوله ومصادره ، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر بيروت ، 1409 هـ – 1988 ص 244؛ اللواء الركن علاء الدين حسين مكي خماس ، فن الحرب عند العرب ، ص347.

العرب وادنى مدره من ارض العجم ؛ فان يظهر الله المسلمين عليهم فلهم ما وراءهم ، وان تكن الاخرى فاءوا الى فئة ، ثم يكونوا اعلم بسبيلهم واجرأ على ارضهم الى ان يرد الله الكره عليهم"[1].

وقد جاء رأي الخليفة ﷺ مطابقاً لرأي المثنى ﷺ ، عندما كتب الخليفة الى القائد سعد ﷺ وهو بشراف يقول له "اذا انتهيت الى القادسية ... فتكون مسالحك على انقابها، ويكون الناس بين الحجر والمدر ثم الزم مكانك فلا تبرحه ، فانهم اذا احسوك انغضتهم ورموك بجمعهم الذي يأتي على خيلهم ورجلهم وحدهم وجدهم ، فان انتم صبرتم لعدوكم واحتسبتم لقتاله ونويتم الامانة ، رجوت ان تنتصروا عليهم، وان تكن الاخرى كان الحجر في ادباركم ، فانصرفتم من ادنى مدرة من ارضهم الى ادنى حجر من ارضكم ، ثم كنتم عليها اجرأ وبها اعلم ، وكانوا عنها أجبن وبها اجهل ، حتى يأتي الله بالفتح ويرد لكم الكرة."[2] وهذا يدلل على اهتمام الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ بدراسة الارض وبطبيعتها الجغرافية[3].

ويبدو مما تقدم ان العرب قاتلوا على اطراف الصحراء لاسباب منها انهم يلجئون إلى الصحراء اذا ما افلح عدوهم في مناجزتهم وليتمكنوا من ان يحموا ظهورهم بها ، ويتخذوا منها خطاً لرجعتهم وبالرغم من ان الامبراطورية الفارسية والرومية كانتا تمتلكان جيوشا كبيرة إلا انها لم تستطيعا التوغل في الصحراء لعدم معرفتها بطبيعتها الجغرافية وطرقها ومصادر المياه فيها في حين نجد ان العرب قد ألفوا تلك الطبيعة.

---

(1) الطبري ، تاريخ ، ج3 ص494؛ ابن الاثير في الكامل ، ج2 ص453

(2) الطبري ، تاريخ ، ج3 ص494؛ ابن الاثير ج2 ص454.

(3) نهاد عباس شهاب الجبوري، تدابير الامن العسكري في صدر الاسلام ، دار الحرية للطباعة بغداد 1984؛ ص51

2 - الجبـال:

لم يغفل المسلمون عن أهمية الجبال في معاركهم ضد اعدائهم، وقد تمثل ذلك بأمر الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ عندما وصل المسلمون إلى سفوح الجبال التي تفصل بين العراق وفارس، فاراد الخليفة ﷺ ان يكون الجبل حداً طبيعياً يقف عنده المسلمون وقال : "وددت ان بيننا وبين فارس جبلا من نار لا يصلون الينا منه ولا نصل اليهم"[1] ، وعندما بلغ الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ ان حرقوص بن زهير[2]، قد نزل في جبل الاحواز كتب اليه الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ وقال"بلغني انك نزلت منزلاً كؤوداً لا تؤتى فيه الا على مشقة فاسهل..."[3]، أي أراد النزول في المناطق السهلية التي لا تؤدي بالجند الى مشقة او تعب.

وفي معركة مروالروذ سنة 22هـ / 643م كان للجبل والنهر اثر فيها، فقد علم الاحنف بن قيس ﷺ ان العدو قد جمع له، فخرج في عسكره ليلا يلتمس الأخبار، فمر برجلين يقول احدهما للاخر "لو ان الامير اسندنا إلى هذا الجبل، فكان النهر بيننا وبين عدونا خندقاً وكان الجبل في ظهورنا من ان نُؤتى من خلفنا"[4]، وهذا يدل على ان عامة المقاتلين يشاركون القادة في التفكير والتخطيط للاستفادة من العامل الجغرافي المتمثل في الجبل والنهر، وقد اخذ الاحنف بمشورتهما فلم يقاتل العدو إلا من جهة واحدة وقد انتصر عليهم.

---

(1) الطبري، تاريخ، ج4 ص79، ابن الاثير، الكامل، ج2 ص513، النووي، نهاية الارب، ج19 ص248، أحمد محمد حسونه، اثر العوامل الجغرافية في الفتوح الاسلامية، ص26.

(2) حرقوص بن زهير، له صحبة مع رسول الله ﷺ ، قاتل الفرس وفتح سوق الاهواز ونزل بها، قتل سنة 37هـ ، ابن الاثير ، اسد الغابة ج1 ص474–475 ؛ الذهبي، تجريد اسماء الصحابة، ج1 ص126.

(3) الطبري، تاريخ : ج4 ص78.

(4) الطبري : ج4 ص169.

ومن المؤكد ان الخبر المنسوب الى سارية بن زميم [1] ، عندما سمع الخليفة عمر بن الخطابﷺ يقول له: "يا سارية الجبل الجبل"[2] يشير الى اهمية التعرف على المواقع والانحياز الى المرتفعات لحماية الجيش.

وفي سنة 32هـ/653م قاتل الاحنف بن قيس اهل مرو الروذ[3] بعد أن جمع له العدو من طخرستان[4] والجوزجان[5] والطالقان[6] والفاريان[7] حتى كانوا ثلاثين الفاً فبلغ الاحنف خبرهم، إذ مر برجل فسمعه يقول : "انما ينبغي على الاميران يقاتلهم من وجه واحد داخل الشعب"[8] فقاتلهم الاحنف فجعل نهر المرغاب[9] عن يمينه والجبل عن يساره فلم يقاتل الا من وجه واحد وبذلك أمن جنبتا الجيش نم أي حركة التفاف يريدها العدو فانتصر عليهم بفضل استغلاله للطبيعة المتمثلة بـ (النهر والجبل)، وعندما بلغ الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ غلبة الاحنف بن قيس على المروزيين، (مرو

---

(1) سارية بن زميم بن عمرو بن عبد الله بن جابر بن عمية بن عبد بن عدي بن الديل بن مر بن عبد مناة بن كنانة، ارسله الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ سنة 23هـ الى بلاد فارس فوقع في خاطر الخليفة عمر ﷺ وهو يخطب في يوم الجمعة ان الجيش المذكر لاقى العدو وهو في بطن واد وقد هموا بالهزيمة وبالقرب منهم جبل فقال في اثناء خطبته يا سارية الجبل الجبل فسمع سارية صوته فانحازوا الى الجبل وقاتلوا العدو من جانب واحد ففتح الله عليهم؛ ابن الاثير: اسد الغابة، ج2، ص306 ؛ الذهبي: تجريد اسماء الصحابة، ج1، ص203. ابن حجر، الاصابة، ج2 ص7-8.

(2) الطبري ، تاريخ ، ج4 ص187، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج7 ص134.

(3) مرو الروذ: مدينة قريبة من مر الشاهجان، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج7 ص253.

(4) طخرستان: وهي ولاية واسعة كبيرة تشمل على عدة بلاد، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج6 ص252.

(5) الجوزجان: وهي بين مر الروذ وبلخ، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3 ص90-91.

(6) الطالقان: هي اكبر مدينة بطخرستان، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج6 ص239-241.

(7) الفاليان : مدينة مشهورة بخراسان من اعمال الجوزجان قرب بلخ، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج6 ص240.

(8) البلاذري، فتوح : ج3 ص503، الطبري : ج4 ص311-312، ابن كثير : البداية والنهاية، ج7 ص131.

(9) والمرغاب:نهر يسيح بمرو الروذ ثم يفيض في رمل ثم يخرج بمرو الشاهجان؛البلاذري فتوح البلدان، ج3 ص503.

الروذ ومرو الشاهجان وبلخ) نهاه عن العبور إلى ما وراء النهر وقال "فلا تجوزن النهر واقتصر على ما دونه، وقد عرفتم باي شيء دخلتم خراسان، فداوموا على الذي دخلتهم به خراسان يدم لكم النصر، واياكم ان تعبروا فتنفضوا"[1]، وبذلك يتضح من وصية الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه للأحنف بن قيس رضي الله عنه بالاستفادة من العوامل الجغرافية المتمثلة في الجبل بإسناد ظهورهم اليه حتى لا يأتيهم العدو من خلفهم ، وأن يجعلوا النهر خندقاً بينهم وبين عدوهم وأن يقاتلوهم من وجه واحد حتى تبقى ظهيرتهم آمنة من أي حركة التفاف يقوم بها العدو.

(1) الطبري، تاريخ ، ج4 ص168.

الفصل الثالث

أثر العوامل الجغرافية في جبهة بلاد الشام

المبحث الاول

أثر العوامل المناخية

1 – الامطار:

لم تخلُ جبهة من جبهات الفتوح من عامل الأمطار وأثره في المعركة، فنجد المسلمين في بلاد الشام قد استطاعوا التغلب على عدوهم وحيازة النصر إلى جانبهم على الرغم من الأحوال الجوية التي لا تتفق وطبيعة العربي الذي ألف الحر ولم يألف المناخ البارد والثلج أبداً إلا اننا نجد الأمطار في كل موضع تكون عوناً للمسلمين على أعدائهم. ومن امثلة ذلك معركة مرج الديباج ، فعلى اثر فتح دمشق سنة 14هـ / 635م صلحاً سمح المسلمون لحاكم المدينة وحاشيته بحمل امتعتهم والخروج إلى أي بلد شاءوا، وكان من ضمنها ثلاثمائة حمل ديباج[1] وحللاً ذهبية[2]، وعندما شاهد القائد خالد بن الوليد ﷺ هذه الاحمال والامتعة والديباج والحلل الذهبية تخرج من المدينة قال: "اللهم اجعله لنا وملكنا اياه واجعل هذه الامتعة قوة للمسلمين"[3]، وبذلك اراد القائد خالد بن الوليد ﷺ ان يضرب العدو في موضع يؤذيهم به وهو الجانب الاقتصادي ولتقوية المسلمين به، فقرر القائد خالد بن الوليد ﷺ متابعة السير في منطقة جبلية بدلالة رجل من دمشق وكان المطر ينزل بغزارة، فساهمت تلك الامطار في إعاقة سير قافلة الروم عن الحركة ، وتمكن

(1) الواقدي ، فتوح الشام، ج1 ص74.
(2) الواقدي، فتوج الشام، ج1 ص74.
(3)الواقدي، فتوج الشام، ج1 ص74.

المسلمون على الرغم من المطر الغزير من اللحاق بالقافلة، إذ انهم واصلوا سيرهم طيلة الليل والمطر ينزل عليهم كأفواه القرب[1]. وفي الصباح ادرك القائد خالد بن الوليد القافلة على مسافة قصيرة من انطاكية، على سهل مرتفع وراء سلسلة جبال الابرش، والروم تسميه (باردة)[2] فاستطاع القائد خالد بن الوليد ﷺ القضاء على حرس القافلة والعودة بالاحمال الى مدينة دمشق وتسمى المعركة بذلك السهل الذي دارت عليه الموقعة وهو (مرج الديباج) او معركة مرج الديباج[3]، نسبة الى الديباج الذي غنمه المسلمون في المعركة.

ومن المعارك التي سقطت فيها الامطار وأدت الى توقف القتال بين العرب والروم بسبب غزارة الامطار، تلك الوقعة التي حدثت حول فلسطين ، وقد لحق الاذى بجيش المسلمين لانهم كانوا بدون أخبية ولا بيوت مما ادى بالمسلمين الى الانسحاب الى الجابية[4] وتستروا بدورها، وقد ذكر الواقدي ذلك بقوله "ان المطر كان رحمة الله بالمسلمين ان وقع في قلب العدو الرعب..."[5]، مما ادى بالروم الانسحاب الى قيسارية وقد استمر سقوط المطر لمدة ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع توقف المطر وطلعت الشمس، وخرج المسلمون يطلبون عدوهم فلم يجدوا له اثرا[6].

وكتب عمرو بن العاص إلى ابي عبيدة عامر بن الجراح يعلمه بانتصار المسلمين في موضع يُقال له نخل وانهزم العدو.

---

(1) الواقدي، فتوح الشام، ج1 ص77؛ الجزال أأ كرم، سيف الله المسلول خالد بن الوليد، ص414.

(2) الواقدي، فتوح الشام، ج1 ص78؛ الجزال أأ كرم، سيف الله المسلول خالد بن الوليد ص414.

(3) الجزال أأ كرم، سيف الله المسلول خالد بن الوليد ص414.

(4) الجابية: قرية من اعمال دمشق، بنظر الحموي ياقوت، معجم البلدان ج3 ص21 ؛ الحميري، المعطار في قبر الاقطار، ص153–155.

(5) الواقدي، فتوح الشام، ج2 ص28.

(6) الواقدي، فتوح الشام، ج2 ص28.

2 - البــرد:

كـان لانخفـاض درجـات الحـرارة فـي فصـل الشـتاء اثـره علـى معـارك المسـلمين مـع الروم ومن امثلة ذلك عندما ارسل الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ الى جعونة بن الحارث وكان عامله على غزاة، بعد ان علم ان رجلا من المسلمين قد عدلت به دابة فساخ في الثلج وهلك فقال لـه عمر ﷺ "اياك وغزوات الشتاء، فوالله لرجل من المسلمين احب الي من الروم وما حوت"[1]، في سنة 15هـ / 636م تقدم القائد ابو عبيدة عامر بن الجراح ﷺ إلـى بعلبك [2]، وعندما انتهـى إلـى المدينـة رأى البلد وامتناعـه وكثرة رجالـه وشـدة بـرده [3]، فقد لقـي المسلمون بـردا شـديدا اثنـاء حصـار مدينـة بعلبـك وقـد روى الواقدي عن غياث بن عدي الطـائي قولـه "حاربنا اهل بعلبك في اول يوم فاصيب من المسلمين اثنا عشر رجلا، واصيب من الروم على الاسوار خلق كثير من اهل الحرب وغيرهم، وانصرف المسلمون إلـى رحـالهم ومـا لهم همـة إلـى طعـام ولا الشراب ولا يريد احد منا الا الاصطلاء بالنار من شدة البرد"[4].

ومن اجراءات القائد ابي عبيدة عامر بن الجراح ﷺ للتخفيف من اثر ذلك على المقاتلـة، انـه أمر جنده في اليوم الثاني من حصـار المدينـة وكان اشد بـردا من اليوم الأول فقال "على كل رجل من المسلمين لا يبرز الى حرب هؤلاء القوم حتى ينفذ رحله ويصلح له طعاما حارا يأكله ليكون بذلك شديدا على لقاء العدو" [5].

---

(1) محمـد حميـد الله، مجموعـة الوثـائق السياسـية للعهـد النبـوي والخلافـة الراشـدة، ط3 ، دار الارشـاد للطباعة، (بيروت 1969) ، ص384؛ د. علي محمد المياح، وصايا الحرب في التراث، دار الحرية للطباعة (بغداد 1986)، ص26 –27.

(2) بعلبـك: مدينـة بينهـا وبـين دمشـق ثلاثـة ايـام، يـاقوت الحمـوي معجـم البلـدان ج2 ص358–359 ؛ الحميري، الروض المعطار، ص109.

(3) الواقدي، فتوح الشام، ج1 ص116.

(4) الواقـدي ،فتـوح الشـام، ج1 ص118؛ بسـام العسـلي، مشـاهير قـادة الاسـلام، ابـو عبيـدة عـامر بـن الجراح، دار النفائس (1982) ص43.

(5) الواقدي، فتوح الشام، ج1 ص119، بسام العسلي، ابو عبيدة عامر بن الجراح ص43.

وبذلك اراد القائد ابو عبيدة عامر بن الجراح ﷺ من المقاتلة اعداد وجبة غذائية ساخنة تزيد من قوة وقابلية المقاتلة وذلك لمقاومة البرد، وكانت هذه الوجبة الغذائية سببا في تأخر هجوم المسلمين على المدينة، فاراد حاكم بعلبك ان يفاجئ المسلمين بالهجوم، لكن قوات المسلمين تصدت للهجوم بثبات من خلال صمودهم المتميز حتى اجبروا حاكم المدينة على التسليم وعقد الصلح [1].

وفي معركة الدروب سنة 15هـ/637م التي كان يقودها ميسرة[2] بن مسروق العبسي، سلك الجيش دروب بغراس[3]، وقد وصف الواقدي الطريق الذي سار به الجيش، انها بلاد شديدة البرودة كثيرة الشجر والمدر وفيها مضايق وشعاب واودية [4] وكان الفارس لا يستطيع ركوب جواده من شدة الانحدار، فسار الجيش ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع انتهوا إلى ارض سهلية، وكان دخولهم اليها في بداية الصيف وقد اصاب جند المسلمين فيها البرد[5]. وربما كان ذلك في الليل لان المسلمين وصلوا إلى المنطقة متخففين.

وفي حصار بيت المقدس سنة 15ه/638م صبر المسلمون على البرد والمطر والثلج الذي استمر اربعة اشهر حتى فتحت المدينة صلحا[6].

وفي حصار حمص[7] سنة 15هـ/637م، لقي المسلمون بردا شديدا، فقد كان قدومهم اليها في فصل الشتاء، وكان من خطة الروم ان يقاتلوا المسلمين في كل يوم

(1) الواقدي، فتوح الشام، ج1 ص119.
(2) ميسرة بن مسرق العبسي: هو احد التسعة الذين وفدوا على النبي محمد ﷺ فقال : يا رسول الله ما زلت حريصا على اتباعك فاسلم حسنة اسلامه وقال الحمد لله الذي استنقذني بك من النار وكان له من ابي بكر منزلة، ابن الاثير، اسد الغابة، ج5 ص385.
(3) بغراس : وهي مدينة تبعد عن انطاكية اربعة فراسخ، ياقوت الحموي، معجم البلدان ، ج2ص368.
(4) الواقدي، فتوح الشام، ج2 ص6.
(5) الواقدي ، فتوح الشام ، ج2 ص6.
(6) الواقدي ، فتوح الشام ، ج2 ص217.

بارد، وكأنهم يعلمون بضعف العرب أمام البرد إذ لم يألف العرب ذلك من قبل، في حين اعتاد عليه الروم، وقد ذكر الطبري ان هرقل قال لاهل حمص "بلغني ان طعامهم لحوم الابل وشرابهم البانها، وهذا الشتاء فلا تقاتلوهم الا في كل يوم بارد فانه لا يبقي إلى الصيف منهم احد..." [1].

ويبدو ان الروم تهيؤا لقتال المسلمين، فجمعوا كميات كبيرة من الاقوات والاعلاف استعدادا للقتال، وقد اجبروا المقاتلة العرب على تحمل البرد.

وقد راهن الروم على عدم صبر المسلمين على برودة الشتاء، وانه سوف يفتك بهم، وان الروم قد تواصوا فيما بينهم على المطاولة والصمود بوجه المسلمين وقالوا "تمسكوا بمدينتكم فانهم حفاة فاذا اصابهم البرد تقطعت اقدامهم..."[2].

وبعد ان افرغ الله سبحانه وتعالى على عباده المجاهدين الصبر، كانت الغلبة على الرغم من قلة تجهيزات المسلمين وبساطتها، لانهم كانوا يحملون رسالة وهدفاً اعلى يدفعهم نحو الاستبسال والصمود حتى نصرهم الله على عدوهم، في الوقت الذي اختار الروم بأنفسهم ظروف المعركة وتوقيتاتها.

اما الروم فقد تراجعوا في حربهم مع المسلمين وقد "سقطت اقدام بعضهم في خفافهم وان المسلمين لفي النعال ما اصيب اصبع احد منهم"[3]، وبذلك انتصر المسلمين على اعدائهم.

ومما تقدم يبدو ان المسلمين استطاعوا منازلة اعدائهم في ظروف مناخية مختلفة كسقوط المطر والثلج والبرد، حتى ان العدو قد علّق آماله بالنصر على مثل تلك

---

(7) حمص : بلدة مشهورة بين دمشق وحلب، الحموي ياقوت معجم البلدان ج3 ص182.

(1) الطبري، تأريخ، ج3 ص599؛ ابن الاثير، الكامل، ج2 ص491؛ النويري، نهاية الارب، ج19 ص162، ابن كير، البداية والنهاية ج7 ص53.

(2) الطبري، تاريخ، ج3 ص600، ابن الاثير، الكامل، ج2 ص491، بسام العسلي، فن الحرب الاسلامي ج1 ص151 الجزال أأ كرم، سيف الله خالد بن الوليد، ص441، الخضري بيك، محاضرات، ج2 ص4.

(3) الكلاعي، الاكتفاء بما تضمنه مغازي رسول الله، ج3 ص217.

الظروف المناخية وقسوة الطبيعة من اجل القضاء على المسلمين، لكن المسلمين صبروا على مثل هذه الاوضاع حتى تم لهم النصر بعون الله تعالى.

3 – اتجاه الريح والشمس:

اهتم المقاتلة العرب بالظواهر الجوية السائدة في ميدان المعركة، ففي معركة اليرموك سنة 13هـ/634م حرص العرب أن تكون الشمس في أعين العدو وهذا يرتبط بالمكانة الذي اختاره العرب المسلمون لحشد قواتهم الذي يمتد من جنوب بلدة نوى[1] والى شرق الجولان[2] ولهذا الموقع ميزات كثيرة، منها أن تكون الشمس في ظهور العرب وفي أعين العدو، مما جعلها عاملاً لتسهيل النصر للمسلمين[3].

وأشار الهرثمي الى أهمية ذلك بقوله "توخ أن تكون الريح والشمس من وراء ظهرك.."[4]

ويذكر كلوب أن رياحاً قائضة رملية شديدة الهبوب، هبت في وجوه الروم وأخذت بسحب الرمال والتراب تلطم وجوه جند الروم[5].

ويبدو أن الريح قد أثرت عليهم لأنها قد حدت من حركتهم وحجبت الرؤيا عنهم في حين ان هذه الريح قد اعتاد عليها العرب على عكس الروم، وبذلك ساهمت الريح في تعزيز نصر المسلمين على اعدائهم.

4 - العوامل البيئية:

تعد العوامل البيئية وما يرتبط بها من آثار على حياة الإنسان سبباً يرافق الفتوحات ويحد من توسعها من خلال التضحيات التي مُنيَ بها جيش المسلمين في الأرواح، ولم

(1) نوى : بلدة من أعمال حوران وقيل هي قصبتها، معجم البلدان ج8 ص403.

(2) الجولان: : قرية وقيل جبل من نواحي دمشق ثم من عمل حوران، ينظر الحدي، بانون، معجم البلدان ح3 ص95.

(3) محمود شاكر،تخطيط المسلمين للقتال، بحث مستل من مجلة الفيصل، العدد 102 أيلول 1985، ص40.

(4) الهرثمي، مختصر ساسة الحروب، ص33.

(5) جلوب، الفتوحات الاسلامية ، ص306–307.

تغفل المصادر أثر هذا الجانب على المقاتلة العرب ولهذا أطلقوا على الأمراض التي كانت تصيب المقاتلة تسميات متعددة منها عامة ومنها خاصة، فقد ذكرت بلفظ الوباء[1] الذي يعني فيه عموم الأمراض التي تصاب بها الناس[2]، وهناك أمراض خاصة تحمل اسم الداء ومنه الطاعون[3] حيث يذكر ابن حجر "لم يكن كل وباء طاعون بل الطاعون هو وباء"[4].

وهذا يدلنا على أن الطاعون هو المرض الخاص والوباء هو المرض العام وتكون لفظة الطواعين أحياناً شاملة والأمراض الأخرى خاصة[5].

ومن آثار الطاعون انه يترك وفيات كثيرة، وقد ذكر المقريزي "أن المصاب به يموت بعد خمسين ساعة أو أقل"[6].

---

(1) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون، المطبعة الأزهرية (مصر، 1930، 1348) ص239.

(2) عبد اللطيف البغدادي، ابن يوسف بن محمد بن علي، الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، دراسة وتحقيق محمد علي مطبعة التعليم العالي (بغداد 1407هـ – 1987م)، ص162–168.

(3) الطاعون: غدة تخرج في الأعراق والآباط وقد تخرج في الأيدي والأصابع، وقيل هو هيجان الدم وانتفاخه، وقيل هو خبات الدم، وذكر في موضع آخر أنه بثق ووركم مؤلم جداً يخرج مع لهب ويسود ما حواليه أو يخضره أو يحمره حمرة شديدة ويحصل معه خفقان وقيء، وذكر ابن سينا ((الطاعون انه مادة سمية تحدث ورماً قتالاً في المواضع الرخوة والمفاين من البدن، ينظر ابن حجر، شهاب الدين ابو الفضل احمد بن علي ، فتح الباري في شرح صحيح مسلم البخاري، تحقيق عبد العزيز الباز وآخرون، دار الكتب العلمية (بيروت بلا ت) ج10 ص164، ابن القيم الجوزية ، زاد المعاد ج4 ص38 ، السيوطي: مخطوط بذل الماعون في أخبار الطاعون، ورقة 252؛ غامس خضير حسن الدوري، الكوارث الطبيعية وآثارها في العراق حتى نهاية الدولة العباسية، رسالة دكتوراه مقدمة الى كلية الآداب مطبوعة بالآلة الطابعة بغداد 1417هـ –1996م، ص202

(4) احمد بن علي ، فتح الباري في شرح صحيح مسلم والبخاري ج10 ص164.

(5) غامس خضير حسن الدوري، الكوارث الطبيعية، ص202.

(6) السلوك لمعرفة دول الملوك، صححه محمد مصطفى زياد، دار الكتب المصرية القاهرة 1934، ج2 ص77.

ومن أسباب المرض الذي يؤدي الى موت المقاتلة بصورة خاصة والناس بصورة عامة انه غالباً ما يرجع الى فساد الهواء فيؤدي الى وقوع الوباء وهذا ما أكده ابن خلدون في المقدمة بقوله "وأما كثرة الموتان فلها أسبابها ... ووقوع الوباء وسببه في الغالب فساد الهواء بكثرة العمران لكثرة ما يخالطه من العفن والرطوبات الفاسدة وإذا فسد الهواء وهو غذاء الروح الحيواني وملابسه دائماً فيسري الفساد الى مزاجه فإن كان الفساد قوياً وقع المرض في الرئة وهذه هي الطواعين وأمراضها مخصوصة بالرئة وإن كان الفساد دون القوي والكثير فيكثر العفن ويتضاعف فتكثر الحميات في الأمزجة وتمرض الأبدان وتهلك، وسبب كثرة العفن والرطوبات الفاسدة..."[1].

وهذا ما أكده ابن الأزرق بقوله "إن الأهوية العفنة أكثر ما يهيئها لتعفن الأجسام وأمراض الحميات، فإذا تخللها الريح وتفاشت، وذهبت بها يميناً وشمالاً خف شأن العفن"[2].

---

(1) ابن خلدون، المقدمة، ص239.

(2) ابن الأزرق، أبي عبد الله بن الأزرق، بدائع السلك في صنائع الملك، تحقيق علي سامي النشار، دار الحرية للطباعة (بغداد 1398، 1978) ج2 ص278.

ومـن الأمـراض التـي أصـابت جـيش المسـلمين بسـبب عفونـة الهـواء طـاعون عمواس[1]، فقد راح ضحية هذا المرض العديد من المقاتلة والقادة حيث بلغ أكثر من عشرين ألف[2] ومنهم أبو عبيدة عامر بن الجراح ﷺ[3]، وعددا من الصحابة (رضي الله عنهم اجمعين)[4].

ومن آثار مرض الطاعون كثرة الشهادة في صفوف المسلمين حتى "طمع له العدو، وتخوفت لـه قلـوب المسلمين، كَثُر موتـه، وطـال مكثـه أشـهراً حتـى تكلـم النـاس فـي ذلك"[5].

ويبدو أن استشهاد عدد كبير من جيش المسلمين قد أثّر على حركة الفتح، حتى اننا نجد مد الفتح قد توقف في تلك السنة[6].

ومن الإجراءات التي اتخذتها الدولة للحد من المرض هو الحجر الصحي حيث روى البخاري عن النبي ذلك بقوله "إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها وإذا وقع

---

(1) عمواس: كوره من فلسطين بالغرب من بيت المقدس، ومنها كان ابتداء الطاعون، الحموي ياقوت، معجم البلدان ح6 354- 355.

(2) خليفة بن خياط ، تأريخ خليفة بن خياط، ج1 ص109، الطبري تأريخ، ج3 ص60 ابن عساكر، تأريخ مدينة دمشق، المجلد الأول ص577-658؛ النويري، نهاية الارب، ج19 ص354.

(3) اشتهر بكنيته ونسبه الى جده فيقال ابو عبيدة بن الجراح وهو احد العشرة المبشرة بالجنة وشهد بدر واحد والمشاهد كلها مع الرسول ﷺ وهو من السابقين للاسلام ، هاجر الى الحبشة والمدينة المنورة قال عنه الرسول محمد ﷺ لكل امة امين وامين هذه الامة ابو عبيدة عامر بن الجراح وقال ابو بكر الصديق يوم السقيفة قد رضيت لكم احد هذين الرجلين عمر بن الخطاب وابو عبيدة بن الجراح، وكان احد الامراء المسيرين الى الشام الذي فتح دمشق، ولما نزل الطاعون كان ابو عبيدة الجراح معافى منهم وقال اللهم نصيبك في آل عبيدة فادركته الوفاة فتوفى وعمره ثمان وخمسون سنة، ابن الاثير ، اسد الغابة ج3 ص130-131؛ خالد محمد خالد ، رجال حول الرسول ، ص241-242

(4) معاذ بن جبل ﷺ ، والحارث بن هشامﷺ ، وسهيل بن عمروﷺ ، عتبة بن سهيل ﷺ ، شرحبيل بن حسنة ﷺ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ج7 ص95-98 .

(5) الطبري، تأريخ، ج3، ص63.

(6) الطبري، تأريخ ، ج4 ص96-101.

بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها"[1]، وذلك للحد من انتشار المرض والتقليل من آثاره، وقد أخذ الصحابة بتعاليم الرسول ﷺ في ذلك ومنهم الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما تحرك الى الشام وعلم من أمراء الاجناد بأن الطاعون قد فشا فيهم، امتنع من الدخول، مطبقاً تعاليم الرسولﷺ بخصوص المرض[2].

وقد كتب الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى أبي عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه قال "فإنك أنزلت الناس أرضاً غمقه[3]، فارفعهم إلى أرض مرتفعة نزهة"[4]. وفي رواية اخرى كتب الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى ابي عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه عندما وقع طاعون عمواس قال: "ان الاردن ارض غمقة وان الجابية ارض نازية فاظهر بمن معك من المسلمين الى الجابية"[5] وقد أكد ذلك عمرو بن العاص رضي الله عنه عندما اشتد الطاعون حيث قال "... فتجبّلوا منه في الجبال"[6].

ويبدو مما تقدم أن العرب المسلمين نزلوا أرضاً وخمه فأراد الخليفة رضي الله عنه أن ينقل الجند الى مكان مرتفعة تتخللها الريح من أجل السلامة العامة للجند "... فإذا تخللها الريح وتفشت وذهبت يميناً وشمالاً خفّ شأن العفن والمرض..."[7].

---

(1) البخاري، أبي عبد الله محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري، دار الفكر بيروت، (بغداد 1986) ج4 ص14.

(2) ابن عساكر، تأريخ مدينة دمشق، المجلد الأول ص553، ابن الأثير، الكامل، ج2 ص56.

(3) غمقة: من العمق، وهو فساد الريح الفيروز آباد، القاموس المحيط ح3 ص282.

(4) الطبري، تأريخ، ج4 ص61.

(5) الزمخشري/ محمود بن عمر الزمخشري الفائق في غريب الحديث ، تحقيق علي محمد البجاوي ، محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار المعرفة ، (لبنان بلا ت) ج3 ص 76.

(6) الطبري، تأريخ، ج4 ص62.

(7) ابن خلدون، تأريخ، ج1،ص291.

المبحـث الثـانـي

أثـــر الميـــاه

1 - مياه الأنـهار:

استخدمت مياه الأنهار كعامل من العوامل الجغرافية في التأثير على المعارك العسكرية من خلال التدخل البشري فيها، وهذا حدث في معركة فحل[1] سنة 13هـ/634م، إذ سمع أبو عبيدةﷺ إن الروم قد اجتمعوا بفحل وأن المدد يأتيهم من دمشق، فكتب أبو عبيدة ﷺ إلى الخليفة ﷺ يعلمه بذلك ، مستشيراً اياه ايبدأ بدمشق أم بفحل فأجابه الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ "أما بعد فابدءوا بدمشق، فانهدوا لها فانها حصن الشام وبيت مملكتهم، واشغلوا عنكم أهل فحل بخيل تكون بازائهم ..."[2].

وتسلم شرحبيل بن حسنة قيادة الجيش وكان "لا يبيت ولا يصبح إلا على تعبئة"[3] فعلم الروم بمسير المسلمين إليهم فنزلوا بيسان – وبيسان بين الأردن وفلسطين[4]. أما المسلمون فنزلوا فحل، وفجرت الروم الأنهار فأصبحت الأرض موحلة فكان العرب في فحل والروم في بيسان وبينهم وبين الروم تلك المياه والأوحال[5] فلقي العرب عناءً كبيراً وذلك أن خيولهم قد وحلت في تلك المياه والأوحال التي اصطنعتها الروم.

أراد الروم مفاجأة المسلمين، مستفيدين من ظلمة الليل لأن الهجوم بدأ عند المساء، فاستمرت المعركة إلى نهاية اليوم الثاني[6]، وعند المساء انهزمت الروم وتحركوا من

---

(1) فحل: اسم موضع بالشام كانت فيه وقعة للمسلمين مع الروم، الحموي ياقوت، معجم البلدان ج6 ص416.

(2) الطبري، تاريخ، ج3 ص437-438، النويري، نهاية الارب، ج19 ص159.

(3) ابن الأثير، الكامل ج2 ص429-430.

(4) الطبري، تأريخ، ج3 ص434، الحموي ياقوت، معجم البلدان، ج2 ص414.

(5) ابن عساكر، تأريخ مدينة دمشق، ج1 ص486.

(6) الطبري، تأريخ، ج3 ص443؛ ابن بدران، تهذيب تأريخ مدينة دمشق، دار لمسيرة بيروت 1399-1979 ج1 ص 145 .

غير تفكير حتى أسلمتهم الهزيمة إلى ذلك الوحل بعد أن ضلوا طريقهم حتى انتهوا إلى الأوحال فوقعوا فيها "فكانت هزيمتهم في فحل ومقتلهم في الرداغ[1]"[2].

وعلى الرغم من أن المسلمين قد كرهوا القتال في المناطق الموحلة لأنها تعيق حركة الفرسان والمشاة إلا انها أصبحت فيما بعد عوناً لهم حتى ذكر ابن الأثير ذلك بقوله "وكان الله يصنع للمسلمين وهم كارهون – كرهوا البثوق فكانت عوناً لهم على عدوهم"[3].

وقد بلغ عدد قتلى الروم في هذه المعركة ثمانين الفاً [4]، وقد تغنى الشعراء بهذا النصر الذي حققه العرب المسلمون على الروم ونجد ذلك في شعر القعقاع بن عمرو[5] حيث قال:

وغداة فحل قد رأوني معلماً	والخيل تنحط والبلا أطوار
ما زالت الخيل العراب تدوسهم	في حوم فحل والهبا [6] موار
حتى رمينا سرانهم عن اسرهم	في ردغة ما بعدها استمرار [7]

2 - اثر البحر:

على الرغم من ان المسلمين استطاعوا فتح العراق وبلاد الشام، لكنهم لم يركبوا البحر، وبعد تحرير المدن الساحلية، احسوا باهمية الدفاع عنها إذ كانت تمتد من انطاكية شمالا الى برقة غربا، فبرزت الحاجة الى بناء اسطول بحري يحمي المدن

(1) الرداغ : الوحل الشديد، ينظر ابن الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ح3 ص109.
(2) ابن عساكر، تأريخ مدينة دمشق، المجلد الأول ص486–487.
(3) ابن الأثير، الكامل، ج2 ص430.
(4) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج1 ص487، 488، ابن بدران، تهذيب، ج1 ص146.
(5) القعقاع بن عمرو هو اخو عاصم بن عمرو كان من الشجعان الفرسان، اسلم سنة 9 هجرية وشهد وفاة النبي ﷺ وشهد فتح مدينة دمشق وواقعة اليرموك وله تاريخ زاهر في فتوح العراق، قال عنه ابو بكر الصديق ﷺ لصوت القعقاع في المعركة خير من الف رجل وله في قتال الفرس في القادسية وغيرها بلاء عظيم، ابن حجر، الاصابة، ج3 ص239.
(6) الهبا : الغبار. الرازي ، مختار الصحاح ، ص688
(7) القاضي، النعمان عبد المتعال، شعر الفتوح الاسلامية في صدر الاسلام ، الدار القومية للطباعة والنشر (القاهرة 1385–1965) ص155.

الساحلية من هجمات الروم، الذين سيطروا على البحر الشامي (البحر المتوسط)، وفي ذلك الوقت ادرك العرب تأخرهم في الملاحة البحرية، فقال ابن خلدون ذلك معللاً بقوله "ان العرب كانوا لبداوتهم لم يكونوا اول الامر مهرة في ثقافته وركوبه، والروم والفرنجة لممارستهم احواله ومرباهم في التقلب على اعواده مرنوا عليه واحكموا الدربة[1]"[2].

ويرجع السبب في عدم ركوب العرب البحر الى طبيعة بلادهم الصحراوية والى سيطرة الاحباش والفرس على موانئ العرب البحرية مثل اليمن، عمان وحضرموت مما ادى الى احتكار تلك الاقوام بطرق التجارة البحرية مع الهند [3].

وبعد ان استقر العرب وعلا شأنهم في الاسلام استطاعوا بناء اكبر اسطول بحري، حتى انه تغلب على الاسطول البيزنطي ويصف ابن خلدون هذه المرحلة بقوله: "فلما استقر الملك للعرب وشمخ سلطانهم وصارت امم العجم خولاً وتحت ايديهم وتقرب كل ذي صنعة اليهم بمبلغ صناعته واستخدموا من النواتية في حاجاتهم البحرية امما. وتكررت ممارستهم للبحر وثقافه. استحدثوا بصراء بها فشرعوا إلى الجهاد فيه وأنشأوا السفن فيه والشواني وشحنوا الاساطيل بالرجال والسلاح وامطروها العساكر والمقاتلة لمن وراء البحار من امم الكفر. واختصوا مما يكمم ثغورهم ما كان اقرب إلى البحر وعلى حافته مثل الشام وافريقيا والمغرب والاندلس"[4].

كتب معاوية بن ابي سفيان ﷺ إلى الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ يستأذنه في ركوب البحر وقال "ان قرية من قرى حمص ليسمع اهلها نباح كلابهم وصياح دجاجهم، حتى كاد ذلك يأخذ بقلب عمر ﷺ "[5].

---

(1) الدربة : الجرءة على الحرب، القاموس ج1 ص68 ؛ مختار الصحاح ص200.

(2) ابن خلدون ، تأريخ ابن خلدون ، ج1 ص211.

(3) احمد مختار العبادي، عبد العزيز سالم، تاريخ البحرية الاسلامية في مصر والشام، (بيروت 1972)،ص14.

(4) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون ، ج1 ص211 .

(5) الطبري، تاريخ، ج4 ص258،؛ النويري، نهاية الارب، ج19 ص415.

ولشدة حرص الخليفة على ارواح الجند ولمعرفة الطبيعة الجغرافية لمنطقة العمليات العسكرية كتب الى والي مصر عمرو بن العاص ﵁ يطلب منه وصف البحر على اثر الكتاب الذي بعث به معاوية بن ابي سفيان﵁ والذي يروم فيه ركوب البحر وغزو الروم فرد عليه وقال "اني رأيت خلقا كبيرا يركبه خلق صغير، ان ركن فرق القلوب، وان تحرك ازاغ العقول يزداد فيه اليقين قلة، والشك كثرة هم فيه كدود على عود، ان مال غرق وان نجا برق"[1]، ترى من هذا النص دقة وصف البحر من قبل والي مصر عمر بن العاص ﵁ وكذلك عبقرية الفاروق ﵁ في ذلك، فلما قرأ الكتاب قال "والذي بعث محمدا بالحق لا احمل فيه مسلما ابدا... وتاالله لمسلم احب الي مما حَوَت الروم" [2].

ولذلك حذر الخليفة ﵁، معاوية بن ابي سفيان ﵁ فقال "فإياك ان تعرّض لي، وقد تقدّمت اليك وقد علمت ما لقي العلاء مني، ولم أتقدم إليه في مثل ذلك"[3].

ويبدو ان الخليفة عمر بن الخطاب ﵁ قد أحس بخطر ركوب البحر، إذ لم يعتد العرب ركوبه من قبل، فكان البحر من العوارض التي تقف حائلا بوجه الفتوح، وعندما خبر العرب المسلمون البحر وركوبه فيما بعد اصبح من السهل ركوبه إذ استطاع العرب ان يفرضوا سيطرتهم على البحر الشامي (البحر المتوسط) والسيطرة على الجزر المهمة فيه.

وعلى الرغم من ان الخليفة عمر بن الخطاب ﵁ لم يأذن لمعاوية في ركوب البحر، إلا انه عمد الى استخدام سياسة بحرية دفاعية وتظهر تلك السياسة عندما كتب معاوية ﵁ بعد وفاة أخيه يزيد يصف له حال السواحل، فامره الخليفة ﵁

---

(1)الطبري، تاريخ، ج4 ص258،؛ النويري، نهاية الارب، ج19 ص415؛ ابن خلدون، تاريخ، المجلد الاول ص211.

(2)الطبري، تاريخ، ج4 ص258؛ النويري، نهاية الارب، ج19 ص415.

(3) الطبري، تاريخ، ج4 ص80-81؛ النويري ، نهاية الارب، ج19 ص49.

"بترميم الحصون وترتيب المقاتلة فيها، واقامة الحرس على مناظرها واتخاذ المواقيد لها" [1].

وظل معاوية ﷺ يرقب الموافقة على ركوب البحر فلما ولي الخليفة عثمان بن عفان ﷺ سنة 24هـ/644م واصل معاوية ﷺ محاولاته في ركوب البحر، فكتب اليه يستأذنه في غزو (قبرص) في البحر ويعلمه سهولة الامر فيها، فاجابه الخليفة عثمان بن عفان ﷺ "اني قد شهدت ما رد عليك عمر رحمه الله"[2] فلم يأذن له، ولم ييأس معاوية ﷺ من الكتابة مرة ثانية الى الخليفة ﷺ فاجابه الخليفة ﷺ الى ذلك سنة 27هـ وقال له "فان ركبت ومعك امرأتك فاركبه مأذونا لك والا فلا"[3] ، فركب معاوية ﷺ البحر في مراكب كبيرة ومعه زوجته وعدد من الصحابة [4]، وذلك بعد ان انحسر الشتاء، وقد أبحر معاوية من عكا ومعه عبد الله بن قيس (الذي يسمى بأمير البحر) الى قبرص ويذكر ابن اعثم عدد المراكب التي ابحرت من عكا 220 مركبا[5] فهبت الرياح وهاج البحر فاضطرب بامواجه وفرق المراكب يمنة ويسرة وبعد ساعة هدأت الرياح فسارع المسلمون في مراكبهم حتى انتهوا الى قبرص فأرسل ملكها إلى معاوية ﷺ يسأله الصلح فصالحوا حاكمها[6].

وفي معركة ذات الصواري سنة 34هـ/654م[7] خرج قسطنطين بن هرقل في 1000 مركب[8] يريد الانتقام من المسلمين لما اصابهم في افريقيا على

(1) البلاذري ج1 ص152.
(2) البلاذري ، ج1 ص181.
(3)البلاذري ، ج1 ص181.
(4) ابن اعثم ج2 ص118.
(5) البلاذري ، فتوح البلدان، ج1 ص181، ابن اعثم ، فتوح ، ج2 ص118.
(6) ابن اعثم، فتوح ، ج2 ص119.
(7) الطبري ، تأريخ ، ج4 ص288، النويري ج19 ص415.
(8) الطبري ، تأريخ ، ج4 ص290، ابن أعثم ، الفتوح ، ج2 ص128

ايدي المسلمين، فسار عبد الله بن سعد (والي مصر) حتى التقى باسطول الشام في عكا فابحروا منها [1].

وكانت الريح اثر في هذه المعركة البحرية حيث يذكر الطبري عن مالك بن اوس بن الحدثان انه قال "وكانت الرياح علينا، فارسينا ساعة، وارسوا قريبا منا، وسكنت الرياح عنا"[2]، وفي رواية ان كلا من الروم والمسلمين امن بعضهم بعضا وقد طلب المسلمون من الروم القتال عند الساحل، فرفض الروم ذلك. وقالوا البحر[3]، وحدد بسام العسلي المكان الذي رست فيه السفن بأنه يقع بين جزيرة رودس ومدينة الميرة [4].

(1) ابن أعثم، فتوح ، ج2 ص128، خليفة بن خياط ، تاريخ ، ج1 ص145

(2) الطبري ، تأريخ ، ج4 ص290.

(3) الطبري، تأريخ، ج4 ص290.

(4) فن الحرب الاسلامية في عهود الخلفاء الراشدين والامويين، دار الفكر 1408-1988، ج1 ص197

واشتبكت سفن المسلمين مع سفن الروم في معركة بحرية، فقد ربط المسلمون السفن بعضها الى بعض، ويصف عبد العزيز سالم ذلك ان المسلمين بهذا الاجراء حولوا المعركة البحرية الى معركة اقرب ما تكون الى المعارك البرية بربط السفن بعضها مع البعض [1]، فكانت جزيرة عائمة على سطح البحر.

واشتد القتال بين الطرفين، واختلطت دماء القتلى بماء البحر، وطرحت الامواج بالقتلى الذين كانوا باعداد كبيرة الى ساحل البحر [2].

وللريح اثر في حسم نتيجة المعركة إذ انها هبت على مراكب الروم فشتتها باتجاهات مختلفة فما التقى فيها مركبان، فحلت بهم الهزيمة وخرج فيها قسطنطين بجراحات بليغة [3].

ومن الملاحظ ان العرب لم يقاتلوا في البحر عندما كانت الرياح عليهم فرست سفنهم ولم يبدأوا القتال حتى كانت الريح على الروم، فغرقت سفنهم في البحر، وقد انتصر العرب لحسن استخدامهم هذا العامل.

---

(1) عبد العزيز سالم ، تأريخ البحرية الاسلامية، ص31.

(2) الطبري، تاريخ، ج4 ص290.

(3) ابن أعثم، فتوح، ج2 ص130؛ عبد العزيز سالم، تاريخ البحرية الاسلامية ، ص31.

المبحث الثالث

أثـــر التضـــاريس

1 - الصحــراء:

وإذا كانت الصحراء عوناً للمسلمين في أكثر من موقع من مواقع القتال التي خاضوها في جبهة الجزيرة العربية وجبهة العراق فإن جبهة الشام لم تخلُ هي الاخرى من أثر الصحراء ومثال ذلك في معركة مؤتة التي حدثت سنة 8هـ/629م عندما أرسل الرسول محمد ﷺ جيشاً من المسلمين الى أطراف بلاد الشام مكونا من ثلاثة آلاف مقاتل[1] "حتى نزلوا على معان[2] من أرض الشام"[3] بينما نزل الروم "مآب[4] من أرض البلقاء"[5].

كان أول تماس بين المسلمين والروم "في قرية من قرى البلقاء يقال لها مشارف[6]"[7] ويبدو أن طبيعة مشارف لا تخدم المسلمين فانحازوا إلى مؤته[8]، ولعدم التكافؤ بين الفريقين في العدد والعدة، واستشهاد القادة الثلاثة[9] وهم زيد بن حارثة، جعفر بن ابي طالب و عبدالله بن رواحة الذي عينهم الرسول ﷺ ، أخذ الراية ثابت بن أرقم ﷺ فقال "يا معشر المسلمين: اصطلحوا على رجل منكم"[10] فاصطلحوا على خالد بن الوليد ﷺ حيث استطاع خالد ﷺ بمهارته العسكرية أن يتراجع بجيش المسلمين

---

(1) اليعقوبي، تاريخ، ج2 ص54.

(2) معان : مدينة في طرف البادية تلقاء الحجاز من نواحي البلقاء، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ح8 ص285.

(3) ابن هشام، السيرة النبوية، ج3 ص373، محمود الدرة، تأريخ العرب العسكري، ص178.

(4) مآب : مدينة في طرف الشام من نواحي البلقاء، ياقوت الحموي معجم البلدان ح7 ص188.

(5) ابن هشام، السيرة النبوية، ج3 ص375، محمود شيت خطاب، خالد بن الوليد، ص70.

(6) مشارف: جمع مشرف، قرى قرب حوران، ياقوت الحموي معجم البلدان ح8 ص268.

(7) ابن سعد، الطبقات، ج2 ص129، ياسين سويد، معارك خالد بن الوليد، ص145.

(8) مؤته: قرية من قرى البلقاء في حدود الشام، ياقوت الحموي معجم البلدان ح8 ص338.

(9) الطبري، تأريخ، ج3 ص39.

(10) ابن الأثير الكامل، ج2 ص234؛ محمود شيت خطاب، قادة فتح العراق والجزيرة ص67.

متجهاً صوب الصحراء، فقد عمد إلى سحب الجناحين بحماية القلب ولما أصبح الجناحان بمأمن عن العدو عمد إلى سحب القلب بحماية الجناحين إلى أن أتم عملية الانسحاب، فلم يستطع الروم ملاحقة جيش المسلمين وذلك لخوفهم من الصحراء لعدم معرفتهم دروبها ومسالكها وبذلك استطاع خالد بن الوليد ﷺ ضمان سلامة الجند، باتخاذ الصحراء أرضاً جديدة للمعركة وهي أرض ينحدر فيها العدو إذا ما لاحق المسلمين لان العرب يحسنون فيها قتال الكرّ والفرّ وتحمل العطش. وكانت هذه المعركة بداية الصراع مع الروم الذي توج بتحرير الشام فيما بعد[1].

ولم تقف الصحراء عاملاً سلبياً مؤثراً على حركة جيوش الفتح بل ساهمت في تذليل عملية المناورة بالقطعات بين جبهة وأخرى، وهذا ما فعله خالد بن الوليد ﷺ عندما استطاع قطع مفازة شاسعة لم يدر بخلد العدو إمكانية المرور عبرها وذلك لتعزيز جبهة الشام، فقد كتب إليه الخليفة أبو بكر الصديق ﷺ [2] يأمره بالحركة من العراق إلى الشام لنجدة جيوش المسلمين في حربهم مع الروم، فذكر الواقدي أن الخليفة أبو بكر الصديق عيّن خالد بن الوليد ﷺ قائداً لجيوش المسلمين، وقال "اني وليّتك على جيوش المسلمين وأمرتك بقتال الروم..."[3]. أما ابن اعثم، قد ذكر أن الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ هو الذي أشار على أبي بكر الصديق ﷺ أن يبعث إلى القائد خالد بن الوليد ﷺ وهو بالعراق يامره بالتحرك إلى بلاد الشام ليكون عوناً للمسلمين على أعدائهم[4].

---

(1) مروان اسود حمد ، تدابير الرسول فس شمال المدينة، ص21.

(2) خليفة بن خياط، تأريخ خليفة بن خياط، ج1 ص87 القاضي، النعمان عبد المتعال، شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام، ص89.

(3) الواقدي، فتوح الشام، ج1 ص24.

(4) ابن أعثم، الفتوح، ج1 ص132.

فعمد خالد بن الوليد ﷺ تنفيذ أمر الخليفة الصديق ﷺ فسار بنصف جيش العراق باتجاه بلاد الشام [1]

وقد اختلفت المصادر والمراجع [2] في تحديد تأريخ انطلاق خالد بن الوليد ﷺ بجيشه من الحيرة والطريق التي سار فيها، والسبب في ذلك يعود إلى اتساع المنطقة التي كان العرب يتنقلون فيها بحرية وامتدادها من قرب أرض صفين إلى دومة الجندل وما يليها جنوباً دون أن يكون لخصومهم أدنى رقابة عليهم[3].

لقد أدرك القائد خالد بن الوليد ﷺ خطورة موقف جيوش الشام مما حتم عليه أن يسلك أقصر الطرق المؤدية إلى بلاد الشام، فسار من "الحيرة إلى دومة[4]، ثم طعن في البر إلى قراقر[5]"[6]. ينظر الخريطة رقم (8)

(1) الطبري تأريخ،ج3 ص46،ابن الأثير الكامل، ج2 ص407؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج1ص463.

(2) البلاذري، فتوح ، ج1 ص131، الواقدي، فتوح الشام، ج1 ص230، الطبري، تأريخ، ج3 ص406 محمود الدرة، تأريخ العرب العسكري، ص329؛ ياسين سويد، معارك خالد بن الوليد، ص233 محمود شيت خطاب، خالد بن الوليد المخزومي، ط2 1970، ص142.

(3) أحمد محمد حسونة، أثر العوامل الجغرافية في الفتوح الإسلامية، ص32.

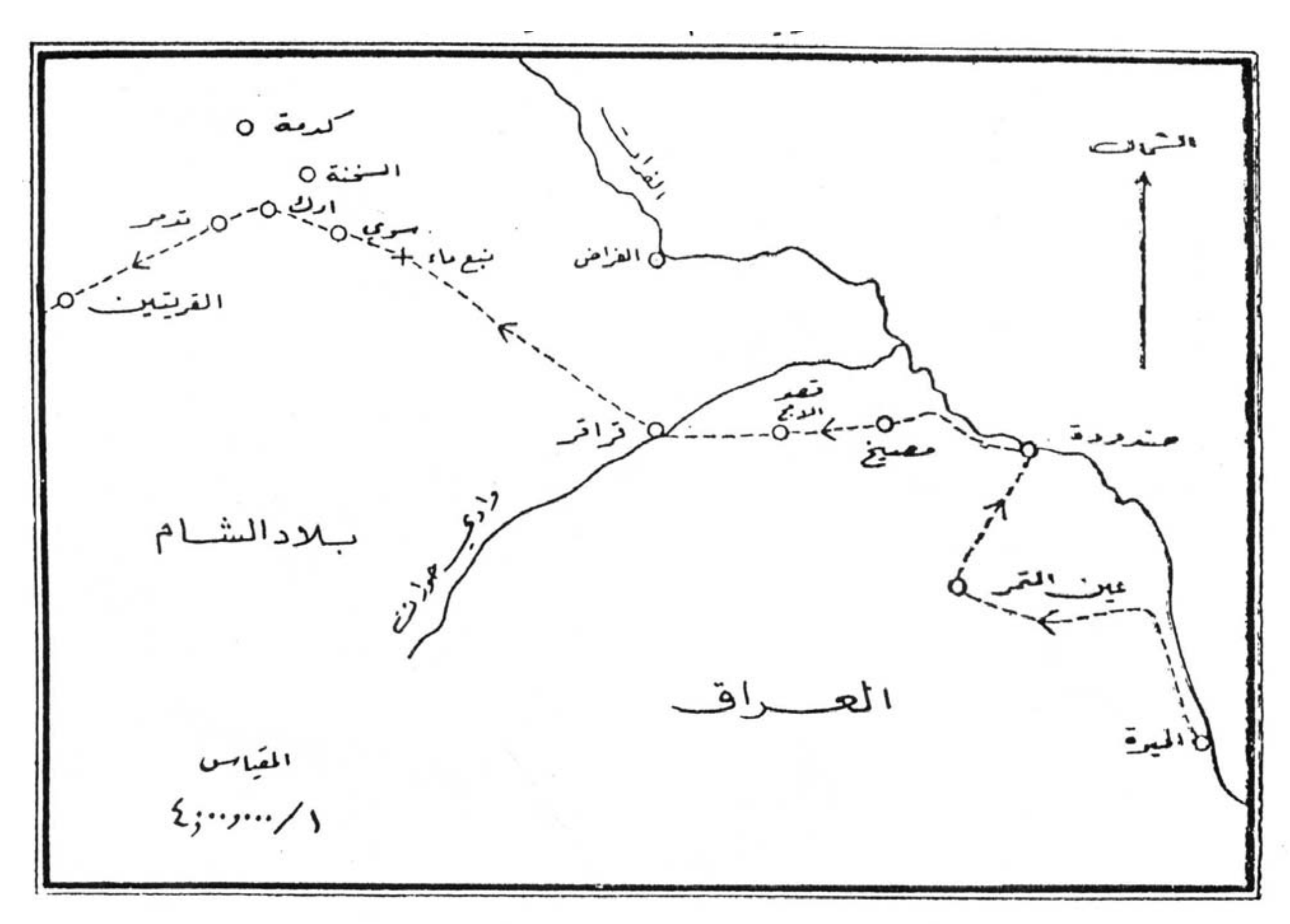
(4) والمقصود بدومه هنا ليست دومة الجندل وذلك لأن اكيدر بن عبد الملك كانت لديه دومه في الحيرة قبل دومة الجندل، وكان اكيدر بن عبد الملك يتردد بين المنزلين، الحموي، ياقوت، معجم البلدان ج4 ص326، العميد محمد علي مادون، مسير خالد بن الوليد من الحيرة – إلى اليرموك أو الدرب المفقود، دار الفكر – 1402هـ - 1982م ص20-21.

(5) قراقر: ماء لكلب، شطر ابن الأثير، الكامل ح2 ص408.

(6) الطبري، تأريخ، ج3 ص408.

خريطة رقم (8)

مسير خالد بن الوليد ﷺ من العراق الى الشام



استلت من كتاب سيف الله المسلول خالد بن الوليد

للجنرال أأ اكرم

ومن هنا جاء الاختلاف في مسير خالد بن الوليد ﷺ بسبب تشابه الأسماء.

وفي قراقر دعا القائد خالد بن الوليد ﷺ الأدلاّء وقال "كيف لي بطريق اخرج فيه من وراء جموع الروم فإني إن استقبلتها حبستني عن غياث المسلمين، فكلهم قال: لا نعرف إلا طريقاً لا يحمل الجيوش، يأخذه الفذ[1] الراكب فإياك أن تغرر بالمسلمين"[2].

فأراد القائد خالد بن الوليد ﷺ السير مفوزاً[3] من قراقر إلى سوى[4]، وبينهما خمسة أيام لا يوجد فيها ماء[5]، حيث كان مع القائد خالد بن الوليد ﷺ أدلاء يعرفون سبل الصحراء ومنهم محرز بن قريش الذي قال لخالد ﷺ "اجعل كوكب الصبح على حاجبك الأيمن، ثم امه تنفض إلى سوى"[6] وكان ادلهم.

كانت أمام خالد بن الوليد عدة طرق تصل به إلى الشام لكنه اختار طريق الصحراء الذي يتوارى فيه عن أنظار الروم ليحقق المباغتة لقوات الروم[7].

ومن أجل التغلب على مشكلة الماء، دعا القائد خالد بن الوليد ﷺ أصحابه أن يستكثروا من الماء وأمر صاحب كل خيل أن يهيئ لها الماء بقدر ما يسقيها طيلة مدة سفره وجمع عدداً من الإبل السمان فظمأها حتى إذا أجهدها عطشاً أوردها الماء علاً بعد نهل، فلما امتلأت صر آذانها وشد مشافرها[8] حتى لا تجتر فتعطش[9]. وسار

---

(1) الفذ : الفرد، ينظر مختار الصحاح، ص494.

(2) الطبري، تأريخ، ج3 ص408–409، عبد القادر بن بدران، تهذيب تأريخ دمشق الكبير دار المسلمين بيروت ط2 1979، ج1 ص137–138.

(3) المفازة : قال ابن الأعرابي سميت بذلك لأنها مهلكة من (فوز تفويزاً) أي هلك وقال الأصمعي ؛ سميت بذلك تفاؤلاً بالسلامة والفوز، ينظر محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، دار الكتاب العربي ص514.

(4) سوى : ماء لبهراء من ناحية السماوى ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ج5 ص84.

(5) ابن أعثم، الفتوح، ح 1 ص136.

(6) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج1 ص463، ابن الأثير، الكامل ج2 ص408.

(7) أ أ اكرم سيف الله خالد بن الوليد ص334–336 ، ياسين سويد، معارك خالد بن الوليد، ص234.

(8) ابن أعثم، الفتوح، ج1 ص136–137، الطبري، تأريخ، ج3 ص409.

(9) البلاذري، فتوح البلدان،ج1 ص131.

خالد بن الوليد بالجيش ومعه الأدلاء لتنفيذ أكبر مأثرة عسكرية في التأريخ، متخذاً الصحراء القاحلة طريقاً له ولجيشه، وكانت الرمال اللاهبة تلفح الوجوه وتلسع الأقدام، إلا أن المسلمين كانوا يستعينون على ذلك بأكل لحوم الإبل ويشربون مما معهم من الماء[1].

وقد سار الجيش أربعة أيام حتى أدركوا الري في اليوم الخامس وكان دليلهم رافع بن عمير[2] أرمد العين حيث استطاع أن يهتدي إلى الماء مما حصل للشعراء أن يتغنون به حتى قال أُحيحة القريشي فيه شعرا:

لله عينا رافع أنى اهتدى	والعين منه قد تغشاها القذى
معصوبة كأنها ملئت ثرى	فهو يرى بقلبه ما لا يرى

قلب حفيظ وفؤاد قد وعى[3]

---

(1) أأ اكرم، سيف الله خالد بن الوليد ص338.

(2) رافع بن عمير ﷺ ، هو رافع بن ابي رافع الطائي السمبسي يكنى ابو الحسن كان دليل خالد بن الوليد ﷺ عندما سار من العراق الى الشام فسلك به البر فقطعه في خمسة ايام شهد غزوة ذات السلاسل وصحب ابو بكر ﷺ توفي سنة 23هـ ،ابن الاثير ، اسد الغابة ج2 ص195-196، الذهبي تجريد اسماء الصحابة ج1 ص174، ، ابن حجر ، الاصابة ج1 ص497-498.

(3) القاضي، النعمان عبد المتعال، شعر الفتوح الاسلامية، ص154-155.

وقال أحد الشعراء بنفس المعنى متغنياً ببراعة دليله رافع بن عمير [1]:

فـــوز مـــن قراقـــر إلـــى ســـوى   والسـير زعـزاع[2] فمـا فيـه ونـى
خمـس إذا مـا سـارها الجـيش بكـى   فـي اليـومين رواحـاً[3] وسـرى[4]

استطاع القائد خالد بن الوليد ﷺ من السير في الصحراء، وبذلك حقق مفاجئة استراتيجية لم يحسب لها العدو حساباً، إذ سار بأقصر الطرق المؤدية إلى بلاد الشام وقد استطلع المرحوم محمود شيت خطاب منطقة مسير خالد ﷺ فوجد أنها أقصر الطرق المؤدية إلى بلاد الشام[5].

وفي معركة اليرموك 13هـ/634م[6] قاتل العرب المسلمون على أطراف الصحراء من أجل ضمان وصول الإمدادات والتموين من قواعدهم التي انطلقوا منها وهي الجزيرة العربية. وعندما وصل القائد خالد بن الوليدﷺ إلى الشام عقد القادة اجتماعاً في خيمة يزيد بن أبي سفيان وهم في الجابية وكان من رأي أبي سفيان في أثناء النقاش مع أمراء الجند حول اختيار مكان لتحشيد جيش المسلمين حيث قال "إن معسكركم هذا ليس بمعسكر اني أخاف أن يأتيكم أهل فلسطين والأردن فيحولوا بينكم وبين مددكم من

---

(1) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ج1 ص470، القاضي، النعمان عبد المتعال، شعر الفتوح الإسلامية، ص155.

(2) زعزاع: الكتيبة الكثيرة الخيل ، وسير زعزاع فيه تحرك وتزعزع تحرك، الفيروز ابادي، القاموس المحيط ج3 ص35.

(3) رواحاً: اسم الوقت من الزوال الى الليل، الرازي، مختار الصحاح، ص

(4) سرى: سرى بالكسر (اسرى) أي سار ليلا وجاء في القرآن الكريم ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً**﴾ سورة الاسراء آية 1.

(5)محمود شيت خطاب، خالد بن الوليد، ص142، وكان ذلك سنة 1959عندما كان ضابطاً بالجيش العراقي

(6) خليفة بن خياط، تأريخ خليفة بن خياط، ج1 ص87.

المدينة فتكونوا بين عسكرهم فارتحلوا حتى تجعلوا اذرعات[1] خلف ظهوركم يأتيكم المدد والخير "[2] وبذلك حرص المسلمون على بقاء المواصلات بينهم وبين قواعدهم مفتوحة من أجل وصول الإمدادات عن طريق الصحراء، ولربما استفاد المسلمون من الخطأ الذي وقع فيه خالد بن سعيد بن العاص عندما أخلى للعدو ظهره بالتوغل في بلاد الشام، وأخذ من الخلف[3] في معركة مرج الصفر[4].

انسحبت القوات العربية حتى نزلوا "خلف اليرموك وجعلوا اذرعات خلف ظهورهم"[5]، وبذلك أمّنوا ظهورهم من أي حركة التفاف يقوم بها العدو، وفضلاً عن تامين وصول الإمدادات من مركز الخلافة (المدينة المنورة)، وحافظوا على اتصالهم بالصحراء.

2 - السهول:

عندما علم هرقل باجتماع جيوش المسلمين، كتب إلى بطارقته "أن اجمعوا لهم، وانزلوا بالروم منزلاً واسع العطن[6]، واسع المنطرد ضيق المهرب"[7].

وقد نزلت جيوش الروم "فيما بين دير أيوب إلى ما يليها من نهر اليرموك"[8]. وكانت البقعة التي اختارها الروم للتمركز فيها، من أهم الظواهر الطبيعية التي أثرت بصورة مباشرة في سير ونتائج معركة اليرموك[9]. إذ يوجد نهر اليرموك وبحيرة طبريا اللذان يحميان جناحه الأيمن ووادي اليرموك عن يساره، وقد نزل الروم في سهل على

---

(1) أذرعات: بلد في أطراف الشام يجاور أرض البلقاء، ينظر ياقوت الحموي معجم البلدان ح1 ص110.

(2)ابن عساكر ،تأريخ مدينة دمشق، ج1 ص532،الواقدي فتوح الشام،ص149 ابن بدران،تهذيب،ج1 ص162

(3) الطبري، تأريخ، ج3 ص389.

(4) الطبري، تأريخ، ج3 ص389.

(5) ابن عساكر، تأريخ مدينة دمشق، ج1 ص533.

(6) العطن: وطن الإبل ومبركها حول الحوض، ومربض الغنم حول الماء، الفيرز آبادي، القاموس المحيط ج4 ص25 ؛ الرازي، مختار الصحاح، ص441.

(7) الطبري، تأريخ، ج ص393؛ ابن عساكر، تأريخ مدينة دمشق، ج1 ص548.

(8) ابن عساكر، تأريخ مدينة دمشق، ج1 ص533.

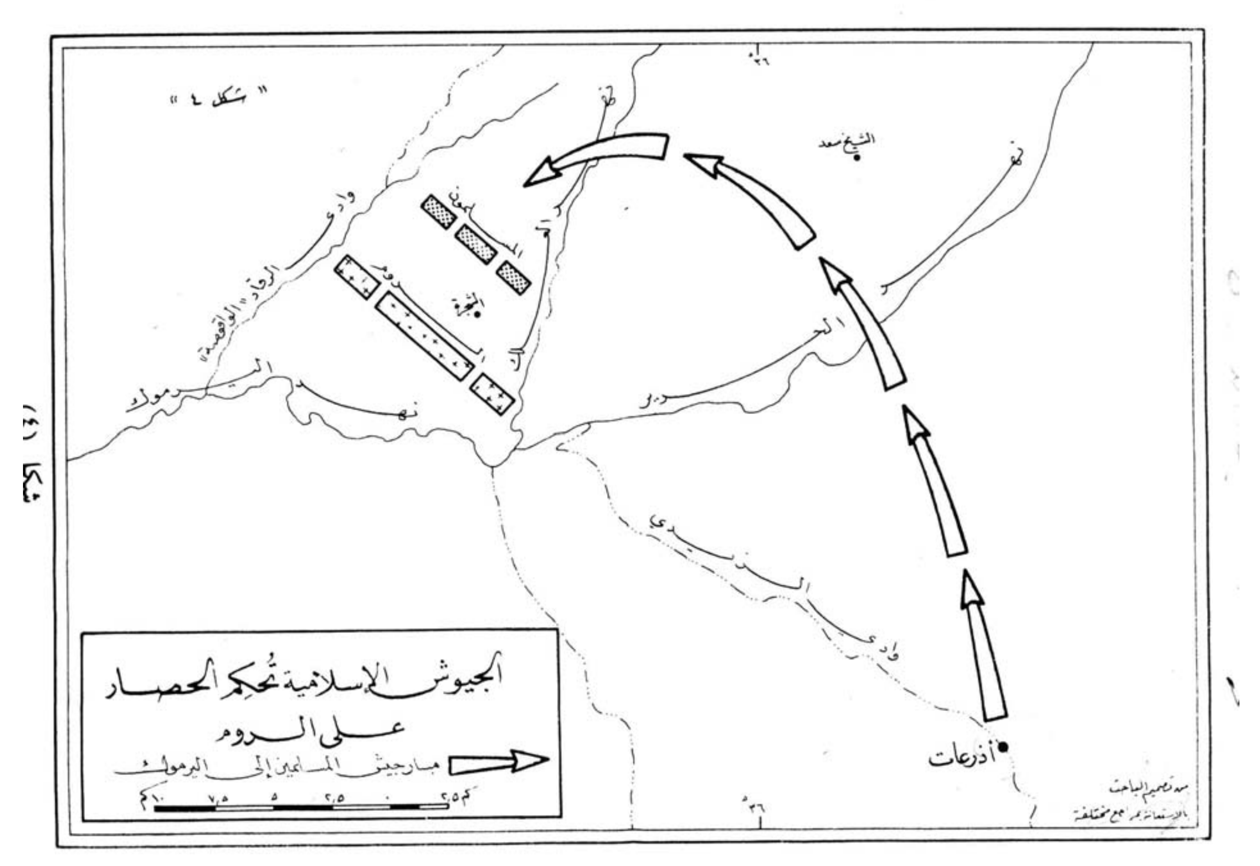
(9) طه عثمان الفراء، جغرافية موقعة اليرموك، مجلة الداره، العدد 3 ديسمبر 1986 ص33.

هيئـة شبه مثلث يكون ضـلعيه من "وادي الرقاد شمالاً ونهر اليرموك جنوباً"[1] ينظر الخريطة رقم (9).

(1) طه عثمان الفراء ، جغرافية معركة اليرموك، ص34.

الخريطة رقم (9)

الجيوش الاسلامية تحكم الحصار على الروم



استلت من مجلة الدارة

طه عثمان الفراء

وبعد أن استقر جيش الروم في المكان المشار إليه، وبنظرة فاحصة من لدن القائد عمرو بن العاص إلى طبيعة الأرض أشار على المسلمين بالتحول من اذرعات، والنزول بمحاذاتهم، وسدوا عليهم باب السهل[1]. وقال "أيها الناس أبشروا، حُصرت الروم وقلّما جاء محصور بخير"[2]. فنزل المسلمون بحذاء الروم وعلى طريقهم وليس للروم طريق إلا عليهم[3].

وكان من نتائج المعركة أن حقق العرب المسلمون نصراً ساحقاً على جيوش الروم لحسن استخدامهم العامل الجغرافي في أرض المعركة، فأخطأ الروم في تعسكرهم إلى الشمال من نهر اليرموك وفطن العرب إلى خطأ الروم فرصدوا لهم جماعة كثيفة سدت عليهم باب السهل[4].

3 - الوديان:

ظل الجيشان جيش المسلمين، وجيش الروم بدون قتال لمدة ثلاثة أشهر بسبب أن الروم نزلوا الواقوصة[5] إذ كانت "تحميهم من ورائهم والخندق من أمامهم"[6] وذلك أن الروم اتخذوا موضعاً دفاعياً قبل حدوث المعركة، ولعل ذلك يعود إلى الهزائم التي مني بها الروم على أيدي المسلمين.

وبدأت المعركة بأسلوبها التقليدي المتمثل بالمبارزة، فشدد خالد ﷺ الضغط على جيش الروم، فحاول فرسانهم الهرب من باب السهل الذي تسده قوات المسلمين، فلما

(1) الطبري، تأريخ، ج3 ص393، أحمد محمد حسونة، أثر العوامل الجغرافية في الفتوح الإسلامية، ص33.

(2) لبن عساكر، تأريخ مدينة دمشق، ج1 ص549.

(3) الطبري، تأريخ، ج3 ص393، ابن كثير، البداية والنهاية ج7 ص6، كلوب، الفتوحات الإسلامية ص304.

(4) أحمد محمد حسونة، أثر العوامل الجغرافية في الفتوح الإسلامية، ص33.

(5) الواقوصة: واد بالشام نزله المسلمون لقتال الروم، ياقوت الحموي، معجم البلدان ج8 ص440.

(6) الطبري، تأريخ، ج3 ص393، الخضري بك، تأريخ الأمم الإسلامية، ج1 ص191.

رأى خالد ذلك من الروم أمر القوة بأن تفتح طريقاً لفرسان الروم لكي يسهل عليهم عملية الفرار، وكان هدف خالد ﷺ هو عزل الفرسان عن المشاة[1]، وتحقق له ذلك.

فانفرد خالد ﷺ بمشاة الروم، أما المقترنون بالسلاسل فلم يثبتوا له وهوى أكثرهم في الواقوصة، وسميت ذلك لأنهم وقصوا فيها[2].

وقد وصف ابن عساكر عملية السقوط "... فيهوي الواحد بالعشرة لا يطيقونه وكلما هوى اثنان كان البقية منهم أضعف فكان المقترنون اعشاراً، فتهافت في الواقوصة عشرون ومائة ألف"[3]، وسبب ذلك يعود إلى الضباب الذي أعاق الرؤية[4]، وقيل ان ذلك كان في الليل[5]، مما يدل على انعدام الرؤية، ونرجح الرأي الثاني الذي يؤيد السقوط بسبب عدم الرؤية ليلاً وليس بسبب الضباب لأن المعركة حدثت في الصيف.

---

(1) ياسين سويد، معارك خالد بن الوليد، ص276، عبدالرؤوف عون، الفن الحربي العربي،مط المعارف (مصر 1961) ص228.

(2) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج8 ص440.

(3) ابن عساكر، المجلد الاول ص547.

(4) الحموي، ياقوت، معجم البلدان ج8 ص440.

(5) المصدر نفسه ج8 ص440؛ محمود أحمد محمد سليمان الجيش والقتال في صدر الإسلام، مكتبة المنار (الأردن 1987)، ص247.

4 - التــلال:

استفاد العرب في معركة اليرموك من التلال في المكان التي نزلوا عليها ويروي الواقدي أن العرب المسلمين نزلوا اليرموك وجعلوا اذرعات خلفهم وكان هناك تل وضع المسلمون فيه نساءهم وأولادهم[1]، ويعتقد بأنه تل شهاب[2] الحالي، ذلك لما فيه من أسباب الحماية لمعسكر المسلمين لوقوعه خلف معسكرهم.

وقد استفاد المسلمون من تل السمن الذي يقدر ارتفاعه (635م) فوضعوا صفهم الأمامي عليه، حتى تتمكن القيادة من الإشراف على المعركة[3] وهذا ما أكده الهرثمي في اختيار مكان الجيش عند لقاء العدو بقوله "احرص أن تسند ظهور أصحابك في مصاف اللقاء إلى الموضع الذي تأمن اخذ العدو فيه.. واحرص أن يكون مكان القلب على جبل أو شرف.. "[4].

إن نزول العرب المسلمين على تل السمن يعطي للمسلمين سيطرة تامة على المنطقة المحيطة بالسهل وبذلك نلاحظ أن العرب قد أحسنوا استخدام أنواع التضاريس كافة من أجل تحقيق النصر.

---

(1) الواقدي ، فتوح الشام، ج1 ص150.

(2) محمود شاكر، تخطيط المسلمين للقتال، بحث مستقل من مجلة الفيصل، العدد (102) 2 أيلول 1985، ص40؛ الجنرال أ أ كرم، سيف الله خالد بن الوليد 461 .

(3) محمود شاكر، تخطيط المسلمين للقتال، ص40.

(4) الهرثمي، مختصر سياسة الحروب، 33؛ محمود أحمد محمد، الجيش والقتال في عصر صدر الإسلام، ص343.

الخاتمــة

وبعد هذا العرض للعوامل الجغرافية التي تركت آثارها في الفتوح الاسلامية، يحسن بنا إجمال النتائج التي خرج بها البحث وهي كالآتي:

1. لقد ثبت من خلال البحث والاستقصاء أن النبي محمد ﷺ كان حريصاً على التنبّه لوجهة الريح واتجاه الشمس وان تكون في وجه العدو وظهور المسلمين، وخير دليل على ذلك معركة بدر، إذ استقبل الرسول محمد ﷺ المغرب وجعل الشمس خلف ظهره. وقد اقتدى به القادة المسلمون من بعده، مثال ذلك في معركة القادسية.
2. كان النبي محمد ﷺ على علم ويقين أن لهذه العوامل الجغرافية أثرا في المعارك وانها لم تكن اعتباطاً وانما بتسخير الله عزّ وجلّ، ويمكن أن تتمثل حقيقة ذلك في قوله ﷺ "نُصرتُ بالصبا وأُهكلت عاد بالدبور".
3. قاتل العرب المسلمين أعدائهم في ظروف جوية مختلفة كسقوط الأمطار والثلوج والبَرَد وكان الانتصار للعرب على اعدائهم.

ربيع ثانٍ. كان لتأثير المياه جوانب مختلفة بحسب جبهات الفتح، ففي شبه الجزيرة العربية كانت المياه في بعض المعارك العامل المسيطر على حسم النصر لأحد الفريقين إذا ما استطاع أحدهما التمكن من مصادر المياه ومنع الآخر من الوصول اليها، وذلك يعود الى قلة المياه ووجودها في مواضع محددة كالآبار مثلاً، وهذا ما ظهر واضحاً في معركة بدر عندما اختار النبي محمد ﷺ منزلاً قريباً من الماء والسيطرة عليه ومنع العدو من الشرب منه. أما في جبهة العراق فلم تكن المياه مؤثرة بهذه الصورة لكثرة تواجدها في الكثير من ساحات المعارك وانما اتخذت طابع التأثير كمانع طبيعي يمنع من سير الجيش أو انحساره وعدم الإفلات مهما حاول إلى ذلك سبيلاً ويتمثل ذلك في معارك العبور ومعارك الضفاف وقد أثبتت معارك العبور ان الهزيمة غالباً ما تكون حليف من يعبر النهر لأنه يضع نفسه بين النهر والعدو. كما أن العرب المسلمين استطاعوا استخدام الخيول بمثابة زوارق لعبور نهر دجلة لفتح المدائن.

5. بقي المسلمون حيناً يتهيبون ركوب البحر لأنهم لم يألفوا ذلك من قبل حتى إذا ما استقر العرب وعلا شأنهم في الإسلام وتكررت ممارستهم للبحر وثقافته شرعوا يجاهدون فيه وأنشأوا أكبر أسطول بحري، فكان البحر في أول الأمر يشكل مانعاً مؤثراً في اتساع الفتح الاسلامي الى أن ركبه معاوية بن أبي سفيان في زمن الخليفة عثمان بن عفان ﷺ.

6. اختار العرب بناء معسكراتهم على اطراف الصحراء مؤكدين على أهمية الجانب الصحي والعسكري وهذا يتجلى من خلال المراسلات التي تمت بين الخلفية عمر بن الخطاب ﷺ وقادة الفتح الاسلامي (رضي الله عنهم) حيث وضع الخليفة عمر ﷺ قواعد لاختيار المكان الذي يوافق طبع العربي وذلك بقوله "إن العرب لا تصبر في بلاد لا تصبر بها الابل".

7. كانت الصحراء ملاذ العرب التي اعتادوا على العيش فيها وتعرف طرقها والسير في مسالكها ومفاوزها اذ نجد أن المعارك التي وقعت في أطراف الصحراء كان النصر فيها حليف العرب المسلمين. وعلى الرغم من أن الامبراطورية الفارسية والامبراطورية البيزنطية (الروم) كانتا تمتلكان جيوشاً كبيرة غير انهما لم تستطيعا التوغل في الصحراء لعدم درايتهما بها.

8. والجبال هي الأخرى كانت صورة تأثيرها واضحة، وقد قصدتها الجيوش كثيراً ولها أوجه من التأثير وذلك في جانب المسلمين نلتمسها في امرين:-

الاول: استخدمت كدروع لجيوش المسلمين يحمي ظهورهم كما جرى في معركة أُحد ومعركة الخندق.

الثاني: اتخاذها كرابية للاشراف على المعركة كما فعل المسلمون في معركة بدر والخندق حيث قام المسلمون ببناء عريش للنبي محمد ﷺ في مكان مرتفع ليكون مشرفاً على المعركة.

أما في جانب العدو فكثيراً ما كانوا يعتصمون بالجبال هرباً من جيش المسلمين فيكون الجبل مانعاً من الاجهاز عليهم.

9. اتخذت الوديان كمخبأ للمباغتة والكمون فيها للعدو ويظهر هذا في سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى بني الملوح بوادي الكديد ، ويظهر تأثيره على المسلمين عندما باغت جيش المشركين جيش المسلمين في وادي حنين.

ختاما احمد الله تعالى الذي اعانني على اتمام هذه الدراسة حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه واصلي واسلم على خاتم الانبياء رسول الله محمد ﷺ وعلى آله وصحبه اجمعين .. والله ولي التوفيق

المصـــادر

1. المصادر المخطوطة:

السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن (ت 911هـ).

مخطوط ، رسالة مختصرة في بذل الماعور في اخبار الطاعون ، مكتبة الاوقاف، مجاميع رقم 13767/8.

2. المصادر المطبوعة:

ابن الاثير ، عز الدين ابي الحسن بن ابي الكرم محمد بن محمد (ت 630هـ) .

اسد الغابة في معرفة الصحابة تحقيق محمد ابراهيم البنا وآخرون ، التراث والعلوم لكل الشعب (بلات ومكان) .

الكامل في التاريخ ، مط ، دار صادر (بيروت 1965) .

ابن الاثير ، مجد الدين المبارك بن محمد الجزري (ت 606هـ) .

النهاية في غريب الحديث والاثير ، ط2 ، تحقيق محمود محمد الطناحي ، طاهر احمد الرازي ، دار الفكر 1399-1979 (بلا مكان) .

ابن الازرق ، ابو عبد الله بن الازرق (ت 896هـ) .

بدائع السلك في صبائع الملك ، تحقيق ، د. علي سامي النشار ، منشورات وزارة الثقافة والفنون العراقية، سلسلة كتب التراث ، 1978.

ابن اسحاق ، محمد بن اسحاق (ت 151هـ) .

كتاب السير والمغازي ، تحقيق ، د. سهيل زكار ، دار الفكر ، بيروت (1398-1978) (بلا مكان).

الاصفهاني ، ابو الفرج علي بن الحسين (ت 356هـ) .

الاغاني ، تحقيق سمير جابر ، دار الفكر 1986 (بلا مكان) .

الاصفهاني ، الحسن بن عبد الله (ت هـ)

بلاد العرب تحقيق صالح احمد العلي وآخرون ، دار اليمامة ،(الرياض 1968).
ابن اعثم ، الكوفي ابو محمد احمد بن اكثم (ت 314هـ) .
الفتوح دائرة المعارف العثمانية (الهند 1968) .
ابن اياس ، محمد بن أحمد (ت 930هـ)
بدائع الزهور في وقائع الدهور ، دار العلوم الحديثة (بيروت بلا ت)
البخاري ، ابي عبد الله بن اسماعيل بن ابراهيم (ت 256هـ/ 869م) .
صحيح البخاري ، دار الفكر بيروت ، (بغداد 1986) .
ابن بدران ، عبد القادر بدران (ت 1346هـ) .
تهذيب تاريخ مدينة دمشق الكبير ، (ط2) دار المسير بيروت 1979 .
البلاذري ، ابو الحسن احمد بن يحيى البغدادي (ت 279هـ/ 892م) .
فتوح البلدان ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، مط ، النهضة المصرية (القاهرة (بلات) .
ابن الجوزي ، جمال الدين بن علي بن محمد (ت 597هـ)
المدهش تصحيح وتعليق مروان قباني ، دار الكتب العلمية (بيروت بلا ت)
ابن حبان ، محمد بن حيان بن احمد البستي (ت 354هـ) .
الثقات ، تحقيق ، شرف الدين احمد ، دار الفكر بيروت (1395-1975م) .
ابن حجر، شهاب الدين ابو الفضل احمد بن علي بن محمد بن محمد (ت 852) .
الاصابة في تمييز الصحابة ، دار العلوم المدينة (المغرب 1328-1910) .
فتح الباري في شرح صحيح مسلم والبخاري.
تحقيق عبد العزيز الباز وآخرون ، دار الكتب العلمية (بيروت بلات).
الحلبي ، علي برهان الدين (ت 1044هـ) .
السيرة الحلبية المعروفة بانسان العيون في سيرة الامين والمأمون، مط الاستقامة (القاهرة 1382-1962)
الحموي ، شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت 626هـ) .
معجم البلدان ، دار احياء التراث العربي ، بيروت لبنان ، 1996 .
الحميري ، محمد عبد العظيم الحميري (900هـ) .

الروض المعطار في خير الاقطار ، تحقيق احسان عباس ، ط2 ، مكتبة لبنان 1984.

ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت 808ه) .

تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر ، وديوان المبتدأ والخبر ، في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر ، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، (بيروت 1391-1971م) .

مقدمة ابن خلدون .

ابن خياط ، خليفة بن خياط (ت 240ه/ 854م) .

تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق ، اكرم ضياء العمري ، مط الآداب (النجف 1386-1967) .

الذهبي ، الحافظ شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان (ت 748هـ/ 1247م) .

تجريد اسماء الصحابة ، تحقيق صالحة عبد الحكم شرف الدين ، بومباي الهند 1389-1969 .

الرازي ، محمد بن ابي بكر (ت 666ه/ 1267م).

مختار الصحاح ، دار الرسالة (الكويت 1983) .

تحقيق شعيب الارناووط ، عبد القادر الارناووط، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الاسلامية، ط14 ، بيروت الكويت، (1407ه/1986م).

ابن رسته ، احمد بن عمر (ت 290ه) .

الاعلاق النفيسة، طبع ليدن 1891 .

ابن الزبير ، عروة (ت 94ه/712م) .

مغازي رسول الله ﷺ ، تحقيق ، د. محمد مصطفى الاعلمي ، مكتبة التربية لدول الخليج العربي (1981) .

الزمخشري، محمود بن عمر (ت 467ه/ 1074م).

الفائق في غريب الحديث

تحقيق علي محمد البجاوي و محمد ابو افضل ابراهيم ، دار المعرفة ، لبنان (بلا ت).

السخاوي ، شمس الدين السخاوي (ت 902هـ) .

التحفة الليطيفة في اخبار المدينة الشريفة، دار الكتب العلمية بيروت 1993.

ابن سعد ، محمد بن سعد (ت 230هـ/ 844م) .

الطبقات الكبرى ، دار صادر بيروت (بلات) .

السهيلي ، ابو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن احمد بن ابي الحسن (ت 581هـ) .

الروض الانفس في تفسير السيرة النبوية ، مط دار المعرفة (بيروت 1978) .

ابن سيدة ، ابو الحسن علي بن اسماعيل (ت 458هـ/ 1065م) .

المخصص ، تحقيق لجنة احياء التراث العربي، دار الآفاق الجديد بيروت (بلات).

السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن (ت 911هـ/ 1505م).

تاريخ الخلفاء ، تحقيق ، محمد محي الدين عبد الحميد ، مط السعاد ، مصر 1952 .

كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب ، دار الكتب العلمية (بيروت 1985) .

شمس الدين ابو العباس احمد بن عبد الله (ت 684هـ)

ذخائر العقبى في مناقب ذي القربى ، تحقيق ، شعيب الارناؤوط دار الكتب العربية 1986 .

الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرير (ت 310هـ/ 922م) .

تاريخ الرسل والملوك ، ط4 ، تحقيق ، محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار المعارف (القاهرة 1962) .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ط3 ، مط مصطفى البابي واولاده .

عبد اللطيف البغدادي ، ابن يوسف بن محمد بن علي ويعرف بابن اللباد(ت ه629)

الافادة والاعتبار في الامور المشاهدة والحوادث المعاينة بارض مصر دراسة وتحقيق ، محمد علي محسن ، عيسى مال الله ، مط التعليم العالي (بغداد 1407-1987) .

ابن عساكر، الحافظ ابي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله (ت 571ه).

تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق ، صلاح الدين المنجد ، مطبوعات المجمع العلمي العربي (بدمشق 1951) .

ابو الفداء ، عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر (ت 732ه/1221م) .

تقويم البلدان ، عناية وتصحيح وطبع ، رينود والبارون ماك كوكين ديسيلان ، (باريس ، 1840).

المختصر في اخبار البشر ، مط الحسينية (بلات) .

الفيروز آبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت 817ه/ 1414م) .

القاموس المحيط ، مط دار الجيل (بيروت (بلات) .

ابن قتيبة ، ابو محمد عبد الله بن مسلم (ت 276ه) .

المعارف ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان 1407ه-1987م .

ابن قدامة ، ابو الفرج ين جعفر (ت 337ه / 948م.

الخراج وصناعة الكتابة ، شرح وتعليق ، د. محمد حسين الزبيدي ، دار الرشيد 1981.

القرطبي ، يوسف بن عبد البر النمري (ت 463ه/ 1070م) .

الدرر في اختصار المغازي والسير ، تحقيق ، د. شوقي ضيف ، القاهرة 1403ه .

كتاب الاستيعاب في معرفة الاصحاب مطبوع مع كتاب الاصابة، مكتبة المثنى، (بغداد 1328ه/1910م)

القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود (ت 682ه).

اثار البلاد واخبار العباد مط دار صادر ، بيروت ، (بلات).

القلقشندي ، احمد بن عبد الله (841هـ) .

مآثر الاناقة في معالم الخلافة ، تحقيق عبد الستار احمد فراج ، عالم الكتب بيروت (بلات) .

ابن القيم الجوزية ، محمد بن ابي بكر (ت751هـ).

زاد الميعاد في هدى خير العباد تحقيق شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الارناؤوط ط14 مؤسسة الرسالة مكتبة المنار الاسلامية (بيروت ، الكويت ، 1407هـ – 1986م .

ابن الكازروني، ظهير الدين علي بن محمد البغدادي (ت 697/ 1297م) .

مختصر التاريخ من اول الزمان الى منتهى دول بني العباس ، تحقيق مصطفى جواد وآخرون مط بغداد (بغداد 1970) .

ابن كثير ، ابو الفداء الحافظ اسماعيل (ت 774هـ/ 1372م) .

البداية والنهاية ، دقق اصوله وحققه ، د. احمد ابو ملحم وآخرون (ط1) دار الكتب العلمية بيروت لبنان 1405هـ–1985م.

تفسير القرآن العظيم .(بلا ت ومكان)

الكلاعي ، سليمان بن عبد الله (ت 634هـ) .

الاكتفاء بما تضمنه مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء تحقيق مصطفى عبد الواحد ، مط ، السنة المحمدية (بالقاهرة 1970) .

المرزوقي ، ابو علي المرزوقي ، (ت 421هـ/ 1030م) .

كتاب الازمنة والامكنة ، مط ، دار المعارف ، حيد آياد الدكن 1332 .

المسعودي ، ابي الحسن علي بن الحسين بن علي (ت 345هـ/ 956م) .

مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق الشيخ جاسم الشماع ، دار القلم بيروت 1986.

التنبيه والاشراف ، مراجعة وتصحيح ، عبد الله اسماعيل الصاري مكتبة المثنى 1938 .

مسلم ، ابي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت 261هـ/ 774م) .

صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، القاهرة 1375–1955.
المقدسي ، المطهر بن طاهر (ت 688هـ)
البدء والتاريخ ، دار النشر ، باريس ، 1916.
المقدسي ، شمس الدين ابي عبد الله محمد بن احمد البشاري (ت 375هـ) .
احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، وضع مقدمته وهوامشه وفهارسه د. محمد مخزوم ، دار احياء التراث العربي ، بيروت لبنان 1408–1987 .
المقريزي ، تقي الدين احمد بن علي المقريزي (ت 845هـ) .
السلوك لمعرفة دول الملوك ، صححه محمد مصطفى زياد مط ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1934 .
ابن منظور ، جمال الدين ابو الفضل محمد بن مكرم (ت 711هـ/1211م) .
لسان العرب ، قدم له العلاقة الشيخ عبد الله العلايلي ، دار لسان العرب بيروت (بلات) .
النويري ، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت 733هـ/ 1332م) .
نهاية الارب في فنون الادب ، تحقيق ، محمد ابو الفضل ، مط ، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة 1975) .
الهرثمي ، ابو سعيد الشعراني صاحب المأمون (ت 200هـ /815م).
مختصر سياسة الحروب ، تحقيق عبد الرؤوف عوف (القاهرة بلات) .
ابن هشام ، ابي محمد عبد الملك بن هشام (ت 218هـ/ 833م) .
السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى السقا وآخرون ، دار الفكر بيروت (بلات) .
الهمذاني ، الحسن بن احمد بن يعقوب (ت 334هـ/ 945م) .
صفة جزيرة العرب ، تحقيق علي محمد الاكوع ، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد 1989 .
الواقدي ، محمد بن عمر بن قدامة (ت 207هـ / 822م) .

المغازي ، تحقيق مارسوس جونس مط اكسفورد 1966 .
فتوح الشام ، قدم له عمر ابو النصر ط1 ، المكتبة الاهلية بيروت 1969 .
ابن الوردي ، زين الدين عمر بن المظفر (ت 749هـ) .
تاريخ بن الوردي (ط2) مط الحيدرية بالنجف 1969 .
اليعقوبي ، احمد بن ابي يعقوب جعفر بن وهب الكاتب (ت 284هـ/ 897م)
تاريخ اليعقوبي ، قدمه محمد صادق ، مط الحيدرية بالنجف 1964 .
كتاب البلدان، مطبوع مع كتاب العلاقة النفيسة لابن رستة

المراجــع

أحمد كمال عادل

سـقوط المـدائن ونهايـة الدولـة الساسـانية، ط4، مـط دار النفـائس، (بيروت 1406-1986).

القادسية، ط6، مط دار النفائس، (بيروت 1981).

أحمد محمد باشميل

غزوة أحد، قدم له محمود شيت خطاب، ط3، (مكة المكرمة 1964).

أحمد محمد حسونة

اثر العوامل الجغرافية في الفتوح الاسلامية، مكتبة نهضة مصر، (القاهرة 1960).

أحمد مختار العبادي وآخرون

تاريخ البحرية الاسلامية في مصر والشام، (بيروت 1972).

بسام العسلي

فن الحرب الاسلامي في عهود الخلفاء الراشدين والامويين، دار الفكر (بيروت 1408-1988).

مشاهير قادة الاسلام (ابو عبيدة بن الجراح)، ط4، دار النفائس، (بيروت 1402-1982).

الخضري بك، محمد الخضري

محاضرات، تاريخ الامم الاسلامية الدولة الاموية، دار المعرفة، بيروت (بلات).

خالد محمد خالد

رجال حول الرسول (ﷺ) دار الفكر (بيروت بلا ت)

سيف الدين سعيد آل يحيى

الحركـات العسـكرية للرسـول الاعظـم فـي كفتـي الميـزان، الـدار العربيـة للموسوعات، بيروت، لبنان، 1983.

صالح أحمد العلي

خطط البصرة ومنطقتها، مط المجمع العلمي العراقي، (بغداد 1986).

صالح مهدي عماش

من ذي قار الى القادسية، دار الحرية للطباعة (بغداد 1973).

صفي الرحمن المبارك

الرحيق المختوم، دار احياء التراث العربي، (بيروت بلات).

طاهر مظفر العميد

تخطيط المدن الاسلامية، مط جامعة بغداد 1986.

عبد الجبار ناجي

دراسات في تاريخ المدن الاسلامية، مط جامعة البصرة (البصرة 1986).

عبد الحميد حسين

الفتح الاسلامي في العراق والجزيرة، مط شفيق، (بغداد (بلات)).

عبد الرؤوف عون

الفن الحربي في صدر الاسلام، مط المعارف (مصر 1961).

عبد القادر المعاضيدي

انباء المدن الاسلامية بحث في كتاب الجيش والسلاح، دار الحرية للطباعة (بغداد 1988).

عبد الوهاب النجار

الخلفاء الراشدون، دار الكتب العلمية (بيروت 1979).

علاء حسين مكي خماس

فن الحرب عند العرب، بيت الحكمة (بغداد 1999).

علي محمد مياح

وصايا الحرب في التراث، دار الحرية للطباعة (بغداد 1986).
فارس حسن شاكر
عمر بن الخطاب، المكتبة المندنية، (بغداد 1989).
فؤاد عبد الباقي
المعجم المفهرس لالفاظ القرآن ، دار ومطابع الشعب (بلا ت ومكان)
محمد ابو الفضل ابراهيم وآخرون
ايام العرب في الاسلام، ط2 ، مط احياء الكتب العربية، (بلا مكان 1950).
محمد احمد باشميل
غزوة احد ، تقديم محمود شيت خطاب مكة المكرمة 1964 .
محمد حميد الله
مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة، ط3 ، مط الارشاد للطباعة، (بغداد بلات).
محمد شاكر حمزة
الجغرافية العسكرية، كتاب منهجي لطلاب الكلية العسكرية.
محمد عبد الستار عثمان
المدينة الاسلامية، عالم المعرفة، (الكويت 1988).
محمد علي مادون
مسير خالد من الحيرة الى اليرموك او الدرب المفقود، دار الفكر 1982 (بلا مكان).
محمد فرج
العبقرية العسكرية في غزوات الرسول ﷺ، دار الفكر العربي 1961 (بلا مكان).

محمود أحمد محمد سليمان
الجيش والقتال في صدر الاسلام، مكتب المنار، (الاردن 1987).
محمود الدرة
تاريخ العرب العسكري، دار الكاتب العربي، (بيروت 1964).

محمود شيت خطاب

خالد بن الوليد المخزومي، ط2، 1360-1970، (بلات ومكان).

قادة فتح العراق والجزيرة، دار القلم، (القاهرة بلات).

الشورى العسكرية، مط المجمع العلمي العراقي (بغداد 1990).

النعمان عبد المتعال القاضي

شعر الفتوح الاسلامية في صدر الاسلام، الدار القومية للطباعة والنشر، (القاهرة 1965).

نهاد عباس الجبوري

تدابير الامن العسكري في صدر الاسلام، دار الحرية (بغداد 1988) (بلا مكان).

هاشم يحيى الملاح

الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة، مط جامعة الموصل (الموصل 1991).

ياسين سويد

معارك خالد بن الوليد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت 1973).

الفن العسكري الاسلامي، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، (بيروت 1988).

الكتب المترجمة

أ1 اكرم

سيف الله المسلول خالد بن الوليد، ترجمة صبحي الجابي، مؤسسة الرسالة ط4، بيروت 1402-1982.

الواموسيل

ترجمة، د. صدفي حمدي، عبد اللطيف عبد الرحمن داود، مراجعة، د. صالح أحمد العلي، د. علي محمد مياح، مط المجمع العلمي العراقي (بغداد 1411-1990).

جون جوت كلوب

الفتوحات الاسلامية الكبرى ، تعريب وتعليق خيري حماد، مكتبة المثنى، بغداد (بلات)

فالتر هنتس

المكاييل والاوزان الاسلامية ، ترجمة كامل العسلي ، م ط ، القوات المسلحة الاردنية (بلا ت)

الدوريـات

حسين علي الداقوقي

خالد بن الوليد وتحرير العراق، بحث مستل من مجلة الاستاذ ، مط جامعة بغداد 1982.

طه عثمان الفراء

جغرافية معركة اليرموك ، بحث مستل من مجلة الدارة العدد الثالث ، ديسمبر 1986م.

محمود شاكر

تخطيط المسلمين للقتال، بحث مستل من مجلة الفيصل العدد 102 ايلول 1985.

الرسائل الجامعية

أمل عبد الحسين عباس السعدي،

الابلة في العصر الإسلامي حتى 257هـ

رسالة ماجستير مقدمة إلى مجلس كلية الآداب، جامعة بغداد 1976.

أيوب عبد المجيد مخيلف،

معركة القادسية وأثرها في تحرير العراق 15هـ/636م،

رسالة ماجستير مقدمة إلى مجلس كلية التربية (أبن رشد) جامعة بغداد 1410هـ-1989م.

رباب جبار طاهر السوداني،

جبهة البصرة رسالة ماجستير مقدمة إلى مجلس كلية الآداب، جامعة البصرة 1409هـ- 1989م.

سمير صالح حسن العمر،

عثمان بن عفان، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة بغداد 1411هـ-1990.

غامس خضير حسن الدوري

الكوارث الطبيعية وآثارها في العراق حتى نهاية الدولة العباسية،

رسالة دكتوراه مقدمة إلى مجلس كلية الآداب، جامعة بغداد 1417هـ-1996م.

قيس عبد العزيز مهدي الدوري،

معركة نهاوند (فتح الفتوح) وأثرها في انهاء الحكم الساساني 21هـ/641م،

رسالة ماجستير مقدمة إلى مجلس كلية التربية (ابن رشد) جامعة بغداد 1421هـ-2000م.

مروان اسود حمد ،

تدابير الرسول ﷺ في شمال المدينة،

رسالة ماجستير مقدمة إلى مجلس كلية الآداب ، جامعة بغداد 1411هـ-1990.